على قمة الهرم

لا شرقية و لا غربية

الجزء الأخير

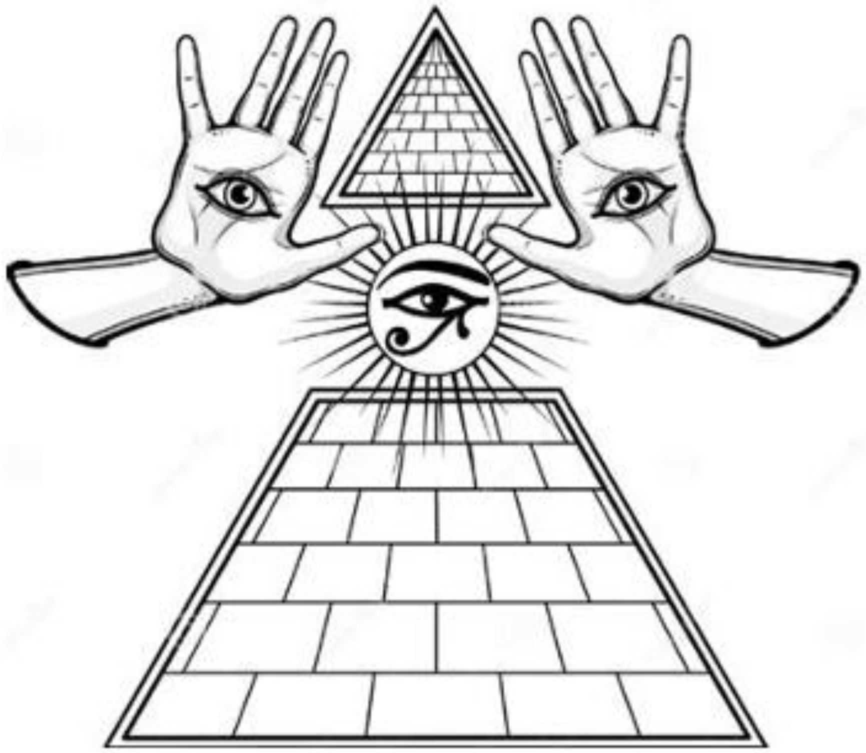

رواية من أدب التشويق و الخيال

د. غفار محمد

على قمة الهرم ..

الإهداء

إلى كلّ عاشقٍ للمعرفة يرتقي

هرم الحياة ببطءٍ لكن بشغفٍ و

ثباتْ

على قمة الهرم ..

أنت هنا في عالم الخيال، وكل تشابه مع الواقع في الأسماء وكثير من الأماكن هو محض صدفة ..

على قمة الهرم ..

- الرحيل
- رمضان و أيلول 99
- العين التي لا تنام
- هرم النقاط
- العقل الكونيّ
- جذور الزيتونة
- العالم الآخر
- القيامة

الرحيل

ألمانيا / ميونخ

غارميش بارتن كيرشن ..

آب 2026 م ..

كان الصباح عاديًا إلى حدّ يثير الريبة، من تلك الصباحات التي تمشي فيها الحياة على رؤوس أصابعها، كأنها تخشى أن توقظ كارثة نائمة في أحد الزوايا.

في شقة أوليفر وشام في ميونخ، كان الضوء الشتوي يتسلل بكسل عبر النافذة الواسعة، يلمس أطراف الأثاث دون حميمية، ويترك في الجو برودة خفيفة لا تعود للطقس بقدر ما تعود لشيء غامض في الروح.

كانت شام تقف في المطبخ، تحضّر القهوة بيدٍ تحفظ الحركات أكثر مما تفكر فيها، فيما كان صوت غلاية الماء أشبه بأنين خافت، لا يشتكي، بل يذكّر فقط بوجوده.

الصغيران نبيل و قمر كانا في الغرفة المجاورة ، غارقين في لعبهما الصامت، عالم صغير مستقل لا يعرف بعد معنى الأخبار العاجلة ولا ثقل الكلمات التي تغيّر المصائر.

أما أوليفر فكان جالسًا إلى الطاولة، يقلب هاتفه بلا هدف، كما لو أنه يبحث عن شيء لا يعرف اسمه.

قالت شام بهدوء، دون أن تلتفت :

= هل تريد قهوتك الآن عزيزي ؟

أجابها أوليفر متأخرًا نصف ثانية، وهو لا يزال يحدّق في الشاشة :
= نعم ... الآن.

لم يكن في صوته شيء مريب، لكن قلبه، دون سبب واضح، كان يدق أسرع بقليل من المعتاد.

جلسا لاحقًا في غرفة الجلوس، القهوة بينهما، صامتين كزوجين يعرفان بعضهما إلى حدّ لا يحتاجان فيه للكلام. التلفاز كان يعمل في الخلفية، قناة إخبارية، لا أحد ينتبه لها فعليًا، مجرد ضجيج مألوف يمنح البيت إحساسًا زائفًا بالأمان.

ثم تغيّر الصوت.

تغيّر إيقاع المذيعة، تلك النبرة التي يتعلّمها الصحفيون حين يضطرون لنطق الكلمات الثقيلة دون أن تتكسر أصواتهم. رفعت شام رأسها أولًا، كأن حاسةً قديمة في داخلها التقطت الخطر قبل أن يُسمّى.

(وردنا قبل قليل خبر عاجل عن تحطم طائرة ركاب مصرية كانت متجهة من القاهرة إلى هونغ كونغ ...)

تجمّد الزمن لوهلة قصيرة، تلك اللحظة التي تفصل بين سماع الخبر وفهمه، بين الصوت ومعناه.

شعر أوليفر بأن الهواء في الغرفة صار أكثر كثافة، كأن الرئتين لم تعودا تعرفان كيف تتنفسان.

في حين تابعت المذيعة :

(الطائرة اختفت عن شاشات الرادار فوق بحر الصين الجنوبي، وفرق الإنقاذ تشير إلى عدم وجود ناجين حتى اللحظة.)

لم تقل شام شيئًا، لكنها وضعت يدها على فمها من هول الكارثة، حركة لا إرادية، قديمة قدم الخوف.

أما أوليفر، فقد شعر بشيء بارد ينزلق في عموده الفقري، فكرة صغيرة، غير مكتملة، لكنها كانت حادّة بما يكفي لتؤلمه.

هونغ كونغ.

لم يكن الاسم عابرًا في ذاكرته. لم يكن مدينة على الخريطة، بل مكانًا مشحونًا بذكريات لا يعرف أحد سواه ثقلها. هناك، في أحد أحيائها المرتفعة، التقى السيد عزيز اليقين ذات مرة، بعيدًا عن العيون، في بيت لم يكن مجرد بيت، بل مساحة رمادية بين ما يُقال وما يُخفى ، فمنحه فيها المزيد من أسراره الكونية الكبرى .

قال بصوت منخفض، كأنه يخشى أن يسمع نفسه :

= شام ...

نظرت إليه، رأت في عينيه شيئًا لم تره منذ زمن طويل، ذلك القلق الذي لا يشبه القلق، بل يشبه المعرفة المسبقة.

لم يقل اسم هونغ كونغ، ولم يشرح. لم يكن بحاجة إلى ذلك، ولم تكن شام تعلم شيئًا عن ذلك المكان أصلًا. كل ما رأته هو الارتباك المفاجئ في وجه زوجها، ذلك الارتباك الذي لا يولد من فراغ.

أمسك أوليفر هاتفه بسرعة، كتب الرقم الذي يحفظه كما يحفظ اسمه، وضغط الاتصال.

مرة.

مرتان.

«الهاتف خارج نطاق الخدمة.»

ردّ الصوت الآلي ببرود قاتل.

حاول مرة ثالثة، كأن الإصرار قادر على تغيير قوانين الشبكات… أو قوانين المصير.

النتيجة نفسها.

بدأت الأخبار تتوالى، صور حطام، تصريحات غامضة، أسئلة بلا أجوبة. جلس أوليفر أمام الشاشة كمن ينتظر اعترافًا، كأن الحقيقة إن تأخرت قليلًا قد تُلغى من تلقاء نفسها.. شام إلى جانبه تحاول طمأنته بعد أن شرح لها سبب قلقه ..

= اهدأ حبيبي .. الربط بين الموضوعين غير منطقي .. إن كان السيد عزيز يملك منزلاً في هونغ كونغ ، فذاك لا يعني بالضرورة أنه من ركاب الطائرة تلك ..

= أعلم .. لكن حدسي يقلقني .. أنا لست مطمئناً أبداً ، و لا أعرف تماماً لماذا ..

مرّت ساعات، ثم يوم، ثم ليل طويل بنوم متقطع تتخلله كوابيس متداخلة .

كان القلق يتحول ببطء إلى يقين خفي، إلى ذلك الإحساس الذي لا يريد الإنسان الاعتراف به لأنه، بمجرد أن يُسمّى، يصبح حقيقيًا.

وفي اليوم التالي، عند المساء، ظهرت لائحة ضحايا الحادثة .

قالت المذيعة :

(تم نشر الأسماء الرسمية للركاب الذين كانوا على متن الطائرة ، و للأسف لم ينجُ أحدٌ منهم ...)

شعر أوليفر بأن قلبه توقف عن الخفقان.

أمسك بيد شام، كانت يدها باردة على غير عادتها.

بدأت الأسماء تمر، أسماء لا يعرفها، لكنها بدت كلها ثقيلة، كأنها حجارة تُلقى في بئر واحدة.

ثم رآه.

عزيز اليقين.

لم يصرخ.

لم يتحرك.

لم يفعل شيئًا يُشبه الحزن كما تصفه الأفلام.

انهار بصمت.

سقط الهاتف من يده، وانحنى جسده قليلًا إلى الأمام، كما لو أن أحدهم قد سحب العمود الذي كان يسنده في حياته . شعر بشيء ينكسر، ليس دفعة واحدة، بل ببطء مؤلم، كزجاج سميك يتشقق تحت ضغط لا يُرى.

شام اقتربت منه، احتضنته دون كلمات. كانت تبكي، لكن دموعها لم تكن عالية، بل ثقيلة، تسيل كأنها تعرف الطريق منذ زمن.

في الغرفة المجاورة، كان نبيل وقمر يضحكان لسبب لم يعد مهماً ، ضحكات بريئة في غير وقتها .. أو ربما في الوقت المناسب تماماً .. أضحكهما القدر الرحيم محاولاً أن يلجم غمامة الحزن قبل أن تتمدد

****

مرت الأيام بعد ذلك كما تمرّ الجنازات الطويلة في الذاكرة : بلا تفاصيل واضحة، مجرد إحساس مستمر بالفقد مع حالة أقرب إلى الإنكار .

كان أوليفر يستيقظ كل صباح وهو يتوقع، لجزء من الثانية، أن يكون كل ما حدث حلمًا سيئًا. ثم يعود الإدراك، قاسيًا، غير قابل للتفاوض.

بدأت الذكريات تتدفق.

أربع سنوات كاملة، تفتحت الآن ككتاب سري قُرأ دفعة واحدة.

رأى نفسه أول مرة يقف بحوار السيد عزيز في كنيسة سانتا ماريا ديليه غراتسيه في ميلانو، ذلك الرجل الذي كان يتحدث بهدوء من يعرف أكثر مما يقول. ثم تذكّر رحلاته بين البلدان ، الغرف المغلقة، الأسئلة التي تنجب الأسرار و الأحاجي المحببة إلى قلبه ..

تذكّر كيف تغيّرت نظرته للعالم، كيف صار يرى ما وراء الأشياء، و يقرأ ما بين السطور .. وكيف لم يعد قادرًا على العودة إلى جهله الأسبق المظلم ..

كل هذا ذهب و لم يتبقَ سوى الألم و الحزن و الذكريات ..

فالآن ... الرجل الذي فتح له الباب، لم يعد موجودًا.

لم يكن الفقد جديدًا على أوليفر.

فقد والديه من قبل، في حادث سير عابر، يومًا عاد فيه من العمل ليجد البيت صامتًا أكثر من اللازم ، مع رسالة صوتية على هاتفه تخبره بحادث فرنسا و وفاة والديه . كان شاباً صغيراً آنذاك، لم يستوعب كيف يمكن ليوم عادي أن يبتلع حياة كاملة في لحظة.

لكنه اليوم، وهو رجل، زوج، أب لطفلين بالكاد تعلّما نطق اسميهما، كان الألم أكثر تعقيدًا.

هذا ليس فقدًا فقط، بل انقطاع سلسلة، انهيار جسر بينه وبين معنى كان يتشكل ببطء.

قال لشام في إحدى الليالي، وهو جالس على حافة السرير :

= كنت أظن أنني تعلمت كيف أتحمّل الخسارة.

فأجابته بصوت مكسور :

= لا أحد يتعلم ذلك حقًا .. الميتم لا يزال يصحبني في داخلي أينما ذهبت ..

مرت أيام أخرى ، والحزن لم يتضاءل .. بل كان يتضخم، يتسلل إلى التفاصيل الصغيرة : إلى **كأس المتة الذي لم يعد له طعم و قد ذهب الشريك** ، إلى الصمت الذي صار أطول من اللازم، إلى اسمٍ لم يعد يُنطق دون أن يترك فراغًا خلفه.

أحيانًا، كان أوليفر يشعر بغضب غير مبرر.

غضب من الحياة، من السماء، من الطائرات، من الأسرار التي ورثها دون أن يرث معها الطمأنينة.

وأحيانًا أخرى، كان يشعر بذنب غامض، كأنه نجا وحده من شيء لم يكن يجب أن ينجو منه.

كم هي قاسية الحياة، فكّر، لا لأنها تأخذ منا من نحب فحسب، بل لأنها تفعل ذلك دون مقدمات ، دون شرح، دون اعتذار، ودون أن تمنحنا الوقت كي نودّع .. كي نقول ما لم يُقل.

وفي قلب هذا الحزن، كان هناك شعور آخر، صغير، خافت، لكنه عنيد ينبض في قلبه :

أن موت السيد عزيز لم يكن طبيعياً ... لأن الأشخاص أمثاله لا يرحلون بمثل هكذا عبثية ..

شيء لم يُفصح عنه بعد ما زال ينتظره .. و هو متعلق بهذا الأمل الذائب غير المفسر .. لكنه خيط الرجاء الذي لا يجرؤ على قطعه و لو بالإنكار غير المنطقي ..

رمضان و أيلول

99

ألمانيا / ميونخ

غارميش بارتن كيرشن ..

أيلول 2026 م ..

جاء شهر رمضان في ذلك العام على نحوٍ غير مألوف، قد يراه البعض ضيفاً ضلّ طريقه فدخل بيت الزمن في غير أوانه ، في حين يراه آخرون قد عاد أخيراً إلى مسكنه الأول الأساس !!.

حلّ هلاله متزامنًا مع أيلول، الشهر الذي تغطي فيه الأوراق الذهبية الأماكن و الطرقات . كان النهار أقصر بقليل من المعتاد ، والضوء أكثر ميلًا إلى الشحوب، كأن الشمس نفسها صائمة عن الفرح.

في ميونخ، لم يكن رمضان صاخبًا كما في المدن الشرقية، لكنه كان أعمق.

كان يحضر بصمتٍ داخلي، بإيقاعٍ خفيّ في الروح، وبشعورٍ عام بأن الوقت صار أبطأ، وأكثر قابليةٍ للتأمل.

في إحدى الأمسيات الرمضانية، وقبل أذان المغرب بقليل، كانت شام في المطبخ، تتحرك بخفةٍ بين القدور، تراقب الوقت بعين، والطعام بعين، والذاكرة بقلبٍ كامل. رائحة البصل المحمّر امتزجت بالبهارات، وصار المطبخ جزيرة دافئة في بيتٍ ما زال الحزن يتجول في أروقته دون استئذان.

أما أوليفر، فكان في الحديقة.

جلس تحت شجرة الصفصاف التي يحبها ، صديقته في لحظات التأمل الطويلة ..

كانت شجرة قديمة، منحنية قليلًا، كأنها تنصت للأرض أكثر مما تنظر إلى السماء. أحبها لأنها لا تشبه شيئًا آخر، ولأن ظلها لا يكون كاملًا أبدًا، بل متكسّرًا، متحركًا، يشبه الأفكار حين لا تريد أن تستقر.

كان الهواء باردًا على نحوٍ لطيف، يحمل رائحة أوراق بدأت تفقد لونها.

أغمض عينيه، وترك ذكرياته تتسلل دون مقاومة.

عزيز اليقين.

كان حضوره يعود إليه هذه الأيام دون استئذان، في لحظات الصمت تحديدًا.

كلماته، طريقته في الجلوس، صمته الذي كان يقول أكثر مما يقول الكلام.

تساءل، للمرة التي لا يعرف عددها، إن كان قد قال له كل ما كان يجب أن يقوله، أم أن بعض الأسرار ماتت مع صاحبها... أو توارت في مكانٍ ما، بانتظار لحظة أخرى.

اهتز الهاتف فجأةً بين يديه.

لم يكن اهتزازًا عاديًا، بل قصيرًا، حادًا، كأن الجهاز نفسه شعر بثقل ما سيحمله.

فتح الشاشة دون اهتمام حقيقي، مجرد رد فعل، ثم ... توقّف.

تجمّد الدم في عروقه.

اسم المرسل كان واضحًا، بسيطًا، لكنه ضرب ذاكرته كصاعقة :

دياميس روما

لم يحتج إلى تفسير.

لم يحتج إلى سياق.

هذا الاسم لم يكن اسم شخص.

كان اسم مكان.

اسمٌ أطلقه السيد عزيز بنفسه على قبو منزله السريّ في جامايكا . قال له وقتئذٍ بابتسامة خفيفة :

(حتى الأسرار تحتاج إلى أسماء مستعارة.)

ديا ميس روما.

المخبأ السري، البيت المنعزل بين الأشجار في الضواحي، حيث التقيا منذ سنتين بعيدًا عن كل شيء.

مكان لم يكن يعرف بوجوده أحد سواهما ... وربما قلة لا تُحصى على أصابع اليد.

ارتجفت أصابعه.

كيف يمكن لاسمٍ كهذا أن يظهر الآن ؟

ومن يجرؤ على استخدامه ؟

تدفقت الأسئلة دفعة واحدة، كتيارٍ جارف لا يترك مجالًا للتفكير الهادئ :

هل عزيز حي؟

هل في قصة تحطم الطائرة خدعة ما ؟

وإن لم يكن... فمن هذا الذي يكتب له الآن؟

هل هو شخص كلّفه عزيز بالوصول إليه إن حدث له مكروه ؟

أم أن هناك طبقة أخرى من الحقيقة لم يكن مستعدًا لها بعد ؟

في تلك اللحظة، ووسط هذا الارتباك، وُلد في قلبه شيء لم يشعر به منذ أسابيع :

الأمل.

لم يكن أملًا صافيًا، بل مترددًا، هشًا، لكنه كان حيًا.

بذرة صغيرة، لكنها كافية لتربك الحزن نفسه.

ضغط على الرسالة.

تردد للحظة قبل أن يقرأها ، كأن القراءة قد تغيّر كل شيء، وكأن الجهل – ولو لثوانٍ – سيبقى أرحم.

ثم حسم تردده ، وبدأ يقرأ :

((منذ فجر الحضارات، آمن الإنسان بأن الكون لم يُخلق اعتباطًا، بل بميزان دقيق ونظام عددي مقدّس. وفي قلب هذا النظام، يتجلّى الرقم **9** كعلامة على القانون الخفي الذي يحكم الوجود من الداخل. لقد رأى القدماء أن الأعداد ليست مجرد أدوات للعدّ، بل هي رموز كونية، لكل عددٍ منها نغمة واهتزاز، كما لكل كوكب لحنٌ خاص في سيمفونية الوجود. ومن بين هذه النغمات، كانت **التسعة** الذروة الموسيقية للخلق، الرقم الذي يغلق الدائرة ويعيدها إلى الصفر في انسجام تام.

في الهندسة المقدسة - ذلك العلم الذي يجمع بين الرياضيات والروح - يحتل الرقم تسعة مكانة مركزية في تصميمات مثل زهرة الحياة، و بذرة الحياة، و مكعب متاترون.

هذه الأشكال ليست مجرد زخارف هندسية؛ بل تمثل البنية الرقمية للكون، تلك التي تتكرر في كل شيء، من الذرات إلى المجرات.

فزهرة الحياة، المكونة من دوائر متداخلة، تضم في نواتها تسع نقاط أساسية تشكّل نمط التكوين، كأن الرقم تسعة هو النبض الخفي الذي ينفخ الروح في الشكل.

كل دائرة من هذه الدوائر التسع تمثل مرحلة من مراحل الخلق، من المركز الإلهي حتى التجلّي المادي، في تتابع يشبه تماماً مراتب النفس التسع التي مرّ بها الإنسان في وعيه.

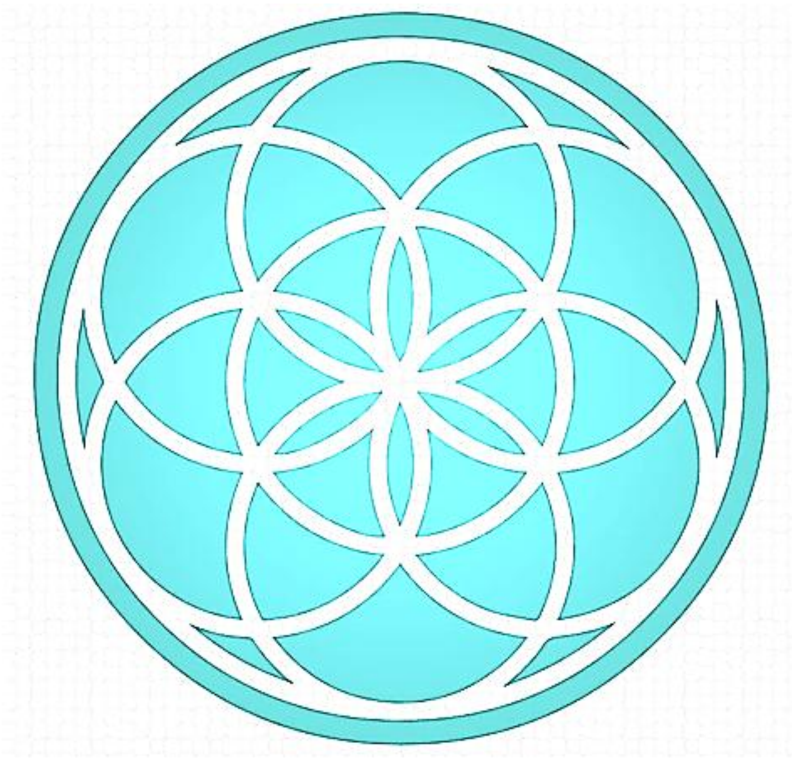

أما في النسبة الذهبية (**1.618**)، التي تُعدّ المفتاح الرياضي للجمال و الكمال في الطبيعة والفن، فإن الرقم تسعة يتكرر في التحليل الرقمي الخفي لهذه النسبة. فالنتائج المتسلسلة في القسمات العشرية للنسبة الذهبية تعود مراراً إلى مضاعفات التسعة، كما لو أن الجمال نفسه - في عمقه - مبني على تناغم تساعي غير مرئي.

حتى اللوغاريتمات الموسيقية، ومضاعفات الترددات الصوتية، تميل إلى القيم التي تنتهي بالرقم تسعة، كأن الاهتزاز الكوني نفسه يجد راحته في هذا الرقم، الذي يجمع ولا يفرّق، يوازن ولا يختلّ.

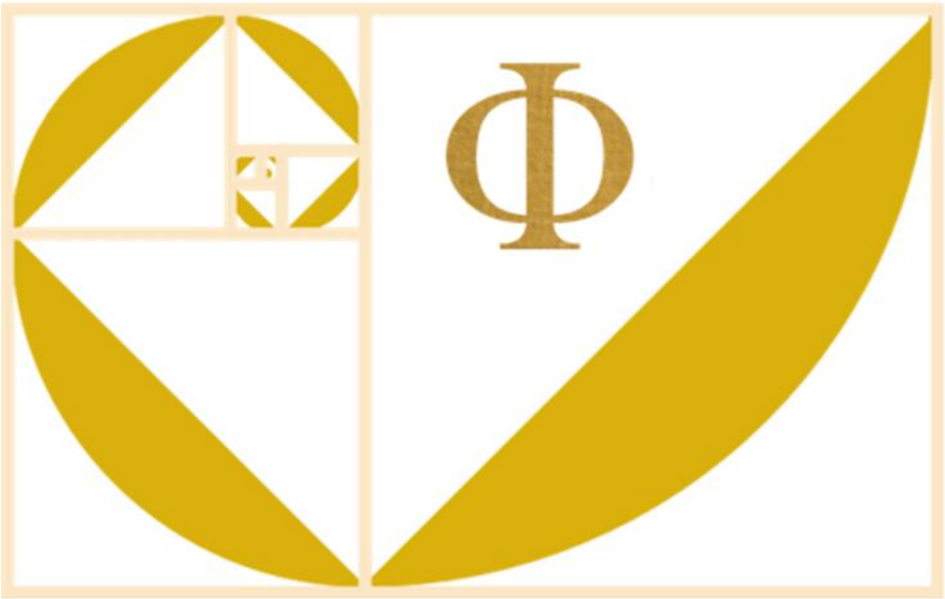

يقول العالم الشهير **نيكولا تسلا** - أحد أعظم العقول العلمية المظلومة في القرن العشرين - عبارته الشهيرة:

(لو كنتَ تعرف سرّ الأرقام 3 و 6 و 9 ، لأمسكتَ مفتاح الكون)

فهو كان يرى أن الكون كله مبني على تسلسل ثلاثي يتوّجه الرقم تسعة، إذ تمثل الثلاثة البذرة، والستة النمو، والتسعة الاكتمال.. ولاحظ أن جميع الظواهر الموجية والكهرومغناطيسية تخضع لإيقاعات تتوافق بشكل مدهش مع مضاعفات هذه الأرقام، وكأن الرقم تسعة هو التردد الأعلى للوعي الكوني الذي ينظم الطاقات في شكلها الأنسب.

في الهندسة الروحية القديمة، وخصوصاً في مدارس **الهرمسية والقبّالة والفيثاغورية**، كان يُعتقد أن الرقم تسعة هو الرقم الذي يربط العالم المرئي بالعالم غير المرئي. فهو **البوابة التاسعة** التي

عبَر منها الأنبياء والعرفاء في رحلاتهم نحو العوالم العليا.

حتى في رمزية الأهرامات، نجد أن عدد الأهرامات الرئيسية في هضبة الجيزة هو ثلاثة، لكن تصميمها قائم على تقسيمات ثلاثية في ثلاث مستويات - أي تسعة في المجموع - كما لو أن المعماري القديم أراد أن يجعل من الحجر نشيدًا رقمياً للسماء.

ويكشف العلم الحديث، في فيزياء الطاقة والموجات، عن علاقة مدهشة بين الرقم تسعة والدورات الطبيعية للكون. فدورات الشمس والمجال المغناطيسي الأرضي والأنماط الزمنية للنشاط الشمسي تميل إلى التكرار كل تسع سنوات تقريباً، مما جعل بعض العلماء يشيرون إلى وجود إيقاع تساعي في الحياة الكوكبية نفسها.

كما أن الذرات التي تحتوي على تسعة إلكترونات (كالفلور) تتمتع بقدرة عالية على الارتباط الكيميائي، كأن الرقم تسعة في التركيب الذري يمثل ذروة الجاذبية والتفاعل، قبل أن تبدأ الدائرة من جديد مع العنصر التالي.

في الفنون المعمارية و الطقسية القديمة ، خضعت المعابد ، و المساجد، والكنائس إلى نسب هندسية تساعية متكررة.

ففي **معبد أنغكور وات** في **كمبوديا**، نجد تسع أبراج ترمز إلى تسع مراحل من السماء.

وفي العمارة الإسلامية، تتكرر التسعات في تشكيلات القباب والمقرنصات، وكأن البنّاء كان يدرك أن الرقم تسعة يوصل المادة بالروح، والحجر بالسماء.

حتى في الخط العربي والزخارف القرآنية، نلحظ ميلاً إلى التقسيم التساعي، في السطر، والفراغ، والتماثل، كأن الفن نفسه يطيع قانوناً كونيًّا لا يُرى.

من منظور الهندسة الكونية، يمكن النظر إلى الرقم تسعة باعتباره التجسيد الرياضي للعودة إلى الوحدة.

في الرياضيات، إذا جمعت أرقام أي مضاعف من مضاعفات التسعة، ستعود دوماً إلى تسعة. هذه الخاصية البسيطة والمذهلة هي ما جعل بعض العلماء القدماء يرون فيه العدد الذي لا يفنى، لأنه يحفظ جوهره مهما تبدّلت أشكاله.

وهكذا يصبح التسعة هو المبدأ الأبدي للثبات في التغيير ، القانون الذي يضمن للكون اتزانه وسط الحركة المستمرة.

في الفلسفة الروحية الحديثة، وخصوصاً في **مدارس الهندسة الوعيّة** ، يُقال إن الرقم تسعة هو بصمة الخالق في الخلق. فهو الرقم الذي يربط الميكروكوزم (العالم الصغير في داخل الإنسان) بالماكروكوزم (العالم الكبير في الكون).

كل شيء - من نسب وجه الإنسان إلى دوران المجرات - يخضع لنظام رقمي يدور في تسعات، كما لو أن الوجود كله يعزف نغمة واحدة بتسع درجات، تتكرر بلا نهاية.

حين ننظر إلى الرقم تسعة من منظور الرياضيات المقدسة والهندسة الروحية، ندرك أن الكون نفسه مكتوب بلغة الأعداد، وأن التسعة هو السطر الأخير في هذه القصيدة الرقمية الكبرى.

إنه الرقم الذي يجمع النهاية بالبداية، السماء بالأرض، الماديات بالروحانيات ، و الشمس بالقمر كما في شعار التاوية بالضبط .

هو الرقم الذي يحرس الباب بين العالمين : عالم الأشكال وعالم المعاني .. عالم الظاهر و عالم الباطن ..

في لحظة تأمل، حين يغلق الإنسان عينيه ويرى الأشكال الهندسية تتكوّن في وعيه - مثل دوائر متداخلة ونسب ذهبية تتفتح كالزهور - يدرك أن الرقم تسعة ليس فكرة، بل نبض داخلي. نبض يقول له إن كل شيء يعود إلى أصله، وإن النظام الكوني ليس سوى مرآة لما في داخله هو.

فالتسعة ليست رقماً نعدّ به، بل إيقاع نعيش به.

إنه التوقيع الإلهي على معمار الوجود، والرمز الذي يهمس للوعي الإنساني :

(كل دائرة تنتهي عند تسعة ، لتبدأ من جديد في صِفرٍ يضيء)

يقول البارئ في القرآن الكريم :

(و لقد جعلنا في السماء بروجاً و زيناها للناظرين)

و **الله** هو رقم **9** في مركز هذا البرج مع أسمائه الحسنى **99** ، حيث يجمع في جوهره القمر(هلال و بدر) أو رمضان من جهة ،

و أيلول أو الشمس أو النجم الذي يدور في فلكه ثمانية كواكب .. و كل الأضداد المعروفة (الأول و الآخر .. الظاهر و الباطن و غيرها ... عدا **الحيّ** فالله لن يكون **ميتاً** بأي شكل من الأشكال و تحت أي ظرف من الظروف) ..

و في الحقيقة الزيتونة (شجرة السماء المقدسة) تشكلت في رحم الكون الأكبر (الأب و الأم) عبر **9** مراحل تطورية كما لخصتها بإيجاز **أسطورة حي بن يقظان** ..

فأسرار رقم **9** سيد أوليفر في السماء تفوق في أهميتها و خطورتها أسراره على الأرض !!))

انتهى المقال و أغلق أوليفر الهاتف ببطء.

بقي جالسًا دون حركة، تحت شجرة الصفصاف، بينما كانت السماء فوقه تميل إلى البرتقالي الخافت، إيذانًا بقرب المغرب.

شعر وكأن شيئًا ما قد انفتح في داخله، بابٌ كان مغلقًا بإحكام، لا ليُدخِل طمأنينة، بل ليُدخل سؤالًا أكبر.

رقم تسعة.

لم يكن رقمًا عابرًا.

لم يكن يُذكر في سياقٍ عادي .. خصوصاً هذا العام بمجيء رمضان و أيلول معاً في شهر واحد ، أي **99** ، ثم الحديث عن الزيتونة شجرة السماء التي حدثه هنا السيد عزيز في أول لقاء جمعهما معاً و قال له أن كل شيء يتمحور حولها ..

تذكّر أيضاً كيف كان السيد عزيز يتحدث عن الأرقام لا بوصفها كميات، بل بوصفها مفاتيح.

كيف كان يقول إن بعض الأرقام لا تُعدّ، بل تُفهم.

وأن أخطر الأفكار ليست تلك التي نجهلها، بل تلك التي نفهمها جزئيًا.

تذكر الأيام الإلهية السبعة و اليوم الآخر الثامن اللانهائي ، و ها هو الله (**9**) يعلو فوقها جميعاً ..

هذه الرسالة من السيد عزيز لا مجال للشك .. لكن السؤال الأهم هنا هو : **هل أرسلها بنفسه ، أم أنه أوصى أحدهم بإرسالها في حال أصابه مكروه ؟!**

ما قرأه لم يكن جوابًا، بل خريطة ناقصة.

استكمال للأسرار، نعم...

لكن استكمال من نوعٍ أخطر، لأنه لا يشرح، بل يلمّح.

شعر بدهشةٍ عميقة، ليست دهشة المفاجأة، بل دهشة الوقوف على حافة فكرة قد تغيّر كل شيء.

كانت الرسالة كأنها تقول له : ما عرفته حتى الآن من أسرار الحياة كان المدخل فقط، أما الداخل الحقيقي، فما زال مظلمًا و بحاجة للتنوير .

لكن السؤال نفسه ظلّ يدور في رأسه، بإلحاحٍ مؤلم :

من كتب هذه الرسالة ؟

هل السيد عزيز حي، يراقبه من مكانٍ ما، يختبر صبره، ويمدّه بالخيوط كما كان يفعل دائمًا ؟

أم أن اليد التي كتبت الآن هي يد شخصٍ آخر، وارثٍ غير مرئي، ينفّذ وصية لم تُكتب ؟

انطلق أذان المغرب، هادئًا، بعيدًا، كأنه يأتي من ذاكرة لا من مئذنة.

نهض أوليفر ببطء، وأطفأ الهاتف، كمن يؤجل مواجهة حتمية.

بعد الإفطار، جلس هو وشام في الحديقة مجدداً، كأسا المتة بينهما، بخارها الخفيف يصعد بكسل.

كان الأطفال قد ناموا، والبيت عاد إلى صمته المعتاد.

قصّ عليها كل شيء.

الاسم.

الرسالة.

الرقم.

الارتباك.

كانت شام تصغي دون مقاطعة، عيناها ثابتتان، لكن عقلها يعمل بعمق.

وعندما انتهى، صمتت قليلًا، ثم قالت بهدوءٍ يشبه الحكمة أكثر مما يشبه العزاء :

= الرسائل القادمة ... هي التي ستوضح الحقيقة.

نظر في عينيها يبحث عن أمل ضائع .

= تظنين أنه حي ؟

ابتسمت ابتسامة خفيفة، لا تجزم ولا تنفي لكنها منحته ما يبحث عنه.

= أظن أن الأهم الآن... أن هناك أملًا .. وأن الحقيقة، أيًا كانت، لم تقل كلمتها الأخيرة بعد .. و كما عودنا السيد عزيز ، فمفاجآته لا تنتهي ..

أطرق أوليفر رأسه.

كان يعرف أنها محقة.

لم يكن بوسعهما أن يفعلا شيئًا.

لا سفر، ولا بحث، ولا مواجهة.

فقط... انتظار مضجر .. انتظار مؤلم .

وفي هذا الانتظار، كان رمضان يواصل مروره الهادئ ..

والليل يطيل صمته ..

والأسرار، كعادتها، تختار لحظتها بنفسها.

العين التي لا تنام

ألمانيا / ميونخ

غارميش بارتن كيرشن ..

تشرين الأول 2026 م ..

مضى شهر كامل على تلك الرسالة الغريبة التي جاءت محمّلة بالأمل والأسئلة معًا.

شهرٌ بدا فيه الزمن متردّدًا، لا يتقدم بثقة ولا يعود إلى الوراء، كأنه ينتظر إشارة خفية ليقرر اتجاهه. خلاله، لم تصل رسائل أخرى، ولم يحدث ما يبدد الشك أو يعمّقه، لكن الشعور الذي زرعته تلك الكلمات القليلة لم يخبُ، بل ظلّ يقظًا، كجمرة مدفونة تحت الرماد.

في أحد الأمسيات الهادئة، كان أوليفر جالسًا في غرفة القراءة الخاصة به.

غرفة أحبها لأنها كانت تشبهه في تلك المرحلة : مغلقة، صامتة، مثقلة بالمعاني.

على المكتب أمامه انتصب المجهر الذي حصل عليه في البرازيل

و على الجدران، علّقت لوحات عزيز اليقين التي أهداها له عبر السنوات، لوحات لا تشرح نفسها، بل تُربك من ينظر إليها، رموزٌ مرسومة بغايات مختلفة، أشكال متداخلة، وخطوط توحي بأن ما نراه ليس إلا قشرة لشيء أعمق.

كان الضوء خافتًا، والمصباح الوحيد على الطاولة يلقي ظلًا مائلًا على الكتب المفتوحة.

لم يكن يقرأ فعلًا، بل كان ينتظر دون أن يعترف بذلك لنفسه.

وحين اهتز الهاتف، عرف.

لم يكن في الاهتزاز شيء مختلف، لكن قلبه استجاب قبله.

مدّ يده ببطء، وكأن الزمن تمدد بين الحركة واللمس، وفتح الشاشة.

المرسل نفسه : **دياميس روما**

فتح الرسالة.

كانت قصيرة.

قاسية في اختصارها.

سطرٌ واحدٌ فقط، لكنه كان أثقل من صفحات كاملة :

(اللقاء في الخامس والعشرين من الشهر على قمة هرم خوفو . منتصف الليل ، أنتظرك.)

لم تتسع الغرفة لفرحته.

نهض واقفًا دفعة واحدة، كأن الأرض تحت قدميه لم تعد ثابتة.

تسارعت أنفاسه، وشعر بأن قلبه يطرق صدره بإيقاعٍ غير منتظم، ليس خوفًا هذه المرة، بل اندفاعًا خالصًا.

عزيز حي.

هذا ما افترضته الرسالة دون أن تقوله صراحة.

لم تحتج إلى توقيع، ولا إلى تفسير.

و كلمتا دياميس روما تذكرانه مجدداً بحادث السير في الإسكندرية الذي قيل أن السيد عزيز قتل فيه ليتبين لاحقاً أنه حي في جامايكا في منزله الذي أطلق عليه اسم (دياميس روما) .. إنها أشبه بتلميح من السيد عزيز بأنه لا يزال حياً مرة أخرى ..

قمة هرم خوفو لم تكن مكانًا عشوائيًا، ولم تكن اختيارًا يمكن أن يصدر عن شخص غريب عن عالم عزيز اليقين.

صحيح أن مكان اللقاء بدا غريبًا إلى حدّ الجنون، لكن أوليفر كان يعرف نفسه جيدًا :

لو طُلب منه أن يذهب إلى أقصى نقطة في هذا الكوكب، لفعل.

محبته للسيد عزيز، وامتنانه له، وما ربط بينهما خلال أربع سنوات، كانت كافية لأن تحمله إلى أي مكان، مهما بدا غير معقول.

نظر إلى التاريخ مرة أخرى.

الموعد بعد يوم فقط.

إذن ... لا وقت للتردد.

جلس فورًا، فتح حاسوبه، وبدأ بحجز تذكرة الطيران إلى القاهرة.

اختار رحلة الصباح، كأنه لا يريد أن يترك للوقت فرصة ليغيّر رأيه.

حجز فندقًا قريبًا، دون اهتمام بالتفاصيل، فكل شيء بدا ثانويًا أمام تلك الجملة الوحيدة التي ما زالت تتردد في رأسه.

أغلق الحاسوب، ونهض بخطوات سريعة، ونزل إلى الطابق السفلي حيث كانت شام .

كانت تجلس في غرفة الجلوس، تقرأ، وعندما رأت وجهه، عرفت قبل أن يتكلم أن شيئًا ما قد حدث.

قال لها الخبر دفعة واحدة، بصوتٍ لم يستطع إخفاء ارتجافه.

شاركتْه فرحته، ابتسمت، ووضعت يدها على يده، لكن عقلها المنطقي – كعادته – لم يترك نفسه يندفع بلا ضوابط.

قالت بهدوءٍ محسوب :

= على الأرجح المرسل هو السيد عزيز شخصيًا ... لكن يبقى

هناك احتمال آخر.

نظر إليها، مستفهماً، فأردفت :

= قد يكون شخصًا كلفه السيد عزيز بمهام إرسال الرسائل، وسيلتقيك هناك ليمنحك شيئًا ... وصية، أو رسالة أخيرة، أو ما يشبه ذلك.

كان أوليفر يدرك أنها على حق.

كان يعرف أن المنطق لا يسمح بالقفز مباشرة إلى اليقين، لكن هذا الإدراك لم يُضعف فرحته.

فبصيص الأمل، مهما كان هشًا، كان خيرًا من دنيا كاملة من الظلام.

****

في صباح اليوم التالي، كان أوليفر جالسًا في صالة الانتظار في مطار ميونخ.

الناس من حوله يتحركون كعادتهم، حقائب، أصوات، إعلانات رتيبة، وكل شيء يبدو طبيعيًا إلى حدّ الاستفزاز.

أما هو، فكان يعيش في عالمٍ آخر، معلقًا بين ما يعرفه وما يتمنى أن يكون صحيحًا.

وقبل أن يُعلن عن الصعود إلى الطائرة، اهتز الهاتف مجددًا.

المرسل نفسه.

فتح الرسالة، وهذه المرة بتركيزٍ كامل، كأن حاسة سادسة قد استيقظت فيه ، ليجد ما كتب فيها حقيقة أغرب مما سبقها .

((منذ فجر التاريخ، كانت العين أكثر من مجرد عضوٍ للرؤية؛ كانت بوابةً بين الداخل والخارج، بين الإنسان والعالم، بين الوعي

والمجهول. لم ينل أيّ عضوٍ من الجسد البشري ذلك القدر من التقديس والرهبة كما نالته العين. فقد رآها القدماء مرآةً للروح، عينَ الإله الرقيب، عينَ الشرّ الساحر، وعينَ الحكمة التي لا تنام.

في مصر القديمة، كانت العين محورًا من محاور العقيدة والرمز. فقد قدّس المصريون القدماء **عين حورس**، رمز الحماية والبصيرة والشفاء. تقول الأسطورة إن حورس فقد عينه في معركته مع **ست**، إله الشرّ و الفوضى، ثم أعادها **تحوت**، إله الحكمة، لتصبح العين رمزًا للعودة والنظام بعد الفوضى، والنور بعد الظلمة.

كان المصريّ يعلّق هذا الرمز في عنقه، يعلّقه على جدران المقابر والسفن والقصور، كدرعٍ ضد الشرّ وكسراجٍ للطمأنينة. ومن هناك انتقلت عين حورس إلى الثقافات المتوسطية، لتتحوّل لاحقًا إلى ما عُرف **بالعين الزرقاء** في التراث الشعبي لحوض البحر المتوسط والشرق الأوسط، رمزًا للوقاية من الحسد والنظر الخبيث.

وفي اليونان القديمة، وُجد الاعتقاد بالعين الشريرة ، حيث ظن الناس أن النظرة المليئة بالحسد يمكن أن تصيب بالمرض أو النحس أو الموت. لذلك علّقوا الرموز الزرقاء والتمائم لحماية أنفسهم من تلك الطاقة السلبية الخارجة من نظرة الآخر. وفي فلسفة اليونانيين، كان البصر هو أسمى الحواس، لأنه يرتبط بالنور والعقل والمعرفة. فقال أفلاطون إن العين ليست مجرد وسيلة للإبصار، بل هي مرآة تعكس النفس، ونافذة يدخل منها النور الإلهي إلى الفكر.

أما في الديانات الإبراهيمية، فقد احتلت العين مكانة مهيبة. ففي اليهودية، ترد الإشارة إلى عين الرب التي تراقب الأرض كلها : (**عين الرب على الصدّيقين وأذناه إلى صراخهم**) ، فهي ليست عينًا جسدية، بل رمز للعلم الإلهي الذي لا يغيب عنه شيء. أما في المسيحية، فالعين رمز للضمير والنور الداخلي : (**سراج الجسد هو العين، فإن كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون نيرًا**) .. وفي الكنائس القديمة، كثيرًا ما يُرسم مثلث تحيط به أشعة النور تتوسطه عين، يُعرف بعين العناية الإلهية أو العين التي ترى كل شيء، وهي تمثل حضور الله الدائم ومراقبته للعالم.

وفي الإسلام، تحضر العين في مستويات متعددة : في القرآن، تُذكر العين كأداةٍ للمعرفة والتأمل في آيات الكون : (**أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيّناها**) ، كما ترد كرمزٍ للفتنة والحسد : (**وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر**)، ومن هنا جاءت الرقية من العين، أي من النظرة الحاسدة. وفي التصوف الإسلامي، تُذكر العين بوصفها عين القلب ، تلك البصيرة التي ترى ما لا يُرى، وتبصر المعنى في ما وراء الشكل. يقول ابن عربي : (**العين ترى بالله، لا بنفسها، فإن رأت بنفسها عميت عن الحق**)

و في **الهندوسية**، تتجلى العين في شكلٍ آخر: العين الثالثة، **عين شيفا**، عين الإدراك الأعلى، التي تُفتح في منتصف الجبين حين يبلغ الإنسان حالة الوعي الكوني. ليست هذه العين جسدية، بل روحية، تمثل القوة التي تُبصر الباطن، وتخترق الحجب بين العالم المادي وعالم الروح. في الفنون الهندية، يُرسم شيفا بعين ثالثة مفتوحة، يخرج منها لهيب، رمز النور الذي يحرق الجهل ويكشف الحقيقة.

وفي **البوذية**، تُعبّر العين الثالثة أيضًا عن عين الحكمة، وعن إدراك الدارما (الحقيقة الكبرى في الكون). أما تماثيل بوذا، فتتصف بعيون نصف مغلقة، وكأنها تجمع بين النظر إلى الداخل والخارج في آنٍ واحد، في توازنٍ بين العالمين : عالم التأمل وعالم الواقع.

وفي الشرق الأقصى، في الصين واليابان، ارتبطت العين بالتنين والعنقاء، مخلوقات الخلق الأولى التي ترى ما لا يراه البشر. في بعض الأساطير، كان خلق العالم يبدأ حين يفتح التنين عينه للمرة

الأولى، فيفيض النور والوعي في الكون. ومن هنا، صارت العين رمزًا للخلق والإدراك، لا مجرد أداة للرؤية.

أما في **الفلسفة الغربية الحديثة**، فقد أخذت العين بُعدًا معرفيًا جديدًا. ففي فكر **ديكارت**، كانت العين رمزًا للذات التي تراقب العالم من موقعها المستقل، بينما في فكر **نيتشه**، تحوّلت العين إلى أداةٍ للقدرة، إذ يرى الإنسان ما يريد أن يراه، لا ما هو كائن بالفعل. وفي الفنون البصرية المعاصرة، أخذت العين شكل المرآة التي تعكس نظرة الإنسان إلى ذاته والعالم؛ فالسرياليون رسموها كبحرٍ أو ككوكب، وكأنها تختزن في تكوينها سرّ الخلق والجنون معًا.

و لم يخلُ تراث من رمزية العين : في الحكايات الشعبية، تُروى قصص عن عيونٍ تبصر الغيب، وعن عيونٍ تُطفأ حين تنظر إلى ما لا يجوز، وعن عيونٍ تُنير ليل العاشقين.

في **التراث العربي**، كانت العين محور الشعر والغزل، رمز الجمال والدهشة والفتنة. قيل : (العين مرآة القلب)، و (من العيون تُكشف الأسرار) .. كما وُلدت حولها فكرة العين الحسودة، فتجد التمائم الزرقاء، وكلمة (ما شاء الله) تُقال درعًا ضدها، وكأن الإنسان يخشى أن تتحول نظرة الإعجاب إلى سهمٍ من طاقةٍ غير مرئية.

وفي **التراث الفارسي والتركي**، يُسمّى الرمز الأزرق النَظَر **بونجوك**، يُعلّق في البيوت والسيارات والمحالّ، وكأنه تعويذة لدرء الطاقة السلبية. وفي **شمال أفريقيا**، يُرسم كفّ تتوسطه عين، يُعرف بـالخُمسَة أو يد فاطمة، رمز للحماية من العين والحسد، وتعبير عن كفّ الرحمة الإلهية التي تدرأ الشرّ.

وفي الفنون، اتخذت العين مسارًا مزدوجًا : فهي أداة الفنان ومادته في آنٍ واحد. رسمها **ليوناردو دافنشي** بدقّة العالم الذي يرى في الضوء سرّ الحياة، وكرّرها **سلفادور دالي** رمزًا للوعي المتشظي والجنون الإبداعي. وفي السينما، غدت العين محورًا للفكر البصري كله - من عين الكاميرا إلى عين المشاهد - لأن كل سردٍ هو في النهاية فعلُ نظر.

أما في التراث الصوفي ، فقد تجاوزت العين معناها الجسدي لتصبح رمزًا للانكشاف. قال الحلاج : (**رأيت ربي بعين قلبي، فقلت : من أنت ؟ فقال : أنت.**) ، وهنا تذوب المسافة بين العين والموضوع، بين الناظر والمنظور. إنها لحظة الاتحاد الكوني، حين تُصبح العين كوكبًا يدور في مدار الحقيقة.

إذن تتجمع في رمزية العين كل الأضداد : النور و الظلمة، الحسد والحماية، المعرفة والفتنة، الظاهر والباطن. **إنها أكثر الرموز تداخلًا في التاريخ الإنساني لأنها تمثل الوعي نفسه ، وعي الإنسان بأنه يُبصر، وأنه يُبصَر.**

ومن هنا، يمكن القول إنّ العين ليست عضوًا في الجسد، بل رمزٌ لليقظة الكونية، لتلك الشرارة التي جعلت الإنسان يرى نفسه والكون في ذات اللحظة ..

فالعين، في جوهرها، هي صورة الله فينا، لأنها تَشهد، كما يشهد الله على خلقه. إنها المفتاح الذي يربط بين الرؤية المادية و البصيرة الروحية، بين العلم والإيمان، بين الفلسفة والأسطورة. وكلما أمعن الإنسان النظر في الوجود، اكتشف أن ما يراه في الخارج ليس إلا انعكاسًا لما في عينه الداخلية ، عين الوعي التي لا تنام.

ليست عين الله عضوًا فيزيائيًا ولا صورة مجازية للوجه الإلهي، بل هي رمز الإدراك المطلق الذي لا تحدّه الحواس ولا تخطئه الظنون. إنها عين الوجود نفسه، التي **ترى لا لأنها تملك بصرًا، بل لأنها أصل النور الذي يجعل الرؤية ممكنة**. فالذي خلق العيون لا يحتاج عينًا ليرى؛ والذي وهب الإدراك لا يحتاج وسيلة ليدرك.

إنّ عين الله ليست في مكان بعينه، لكنها في كل مكان؛ لا تُطلّ من السماء فحسب، بل تتخلل الوجود كما يتخلل الضوء الذرّة. هي

حضورٌ يقظ دائم، لا يغيب لحظة عن مجريات العالم، حتى وإن بدا الكون غارقًا في فوضاه. إنها العين التي ترى ما في الصدور قبل أن تنطق الشفاه، والتي تعرف نية الفعل قبل أن يتحرك الجسد. تلك العين لا تنام لأنها ليست مخلوقة، بل هي يقظة الوجود الأبدية، الوعي الكلي الذي يسكب على العالم طمأنينة مراقبةٍ لا تُخطئ ، الذي يعرف ما يدور دون أن يراه ..

في نظر العارفين، ليست عين الله مراقِبة بالمعنى البشري، بل شهادة للكينونة نفسها. فكل ما يوجد إنما يوجد لأنه منظور إليه من الله. يقول الفيلسوف المسلم **صدر الدين الشيرازي** : (وجود الأشياء هو تجلّي العلم الإلهي بها) .. فلو غاب عنها نظر الله، لغابت هي معه. إنّ رؤيته هي التي تحفظ الوجود في حضوره، كما يحفظ الضوء الأشياء من أن تذوب في الظلمة. ولهذا كانت عين الله هي الضوء الذي به يرى كل شيء نفسه.

أما في الوجدان الديني، فهذه العين تحمل معنى الرحمة والعدل في آنٍ واحد. هي عين ترقّ على الضعيف، وتُمهل الظالم، لكنها لا تُهمل. يراها الإنسان فوقه حين يخطئ، فيرتجف ضميره، ويرى فيها حضنًا حين يضيع، فيسكن قلبه. إنها ليست عين قاضٍ بل عين

أب كوني، تحيط بمخلوقاته علماً وحنانًا، فلا يغيب عنها أحد.

وفي الشعر الصوفي، ترد عين الله بوصفها عين المحبة المطلقة التي ترى الخلق بذات اللطف الذي أوجدتهم به.

يقول **جلال الدين الرومي** :

(حين تظن أن لا أحد يراك، تذكّر أن النور الذي يراك هو أنت.)

فالعين الإلهية ليست بعيدة عنا، بل هي مقيمة فينا؛ في الوعي الذي يشعر بالذنب قبل العقاب، وفي الندم الذي يسبق التوبة، وفي النور الخفي الذي يجعل القلب يفرّق بين الخير والشر دون أن يُقال له ذلك. إنّ إدراك الله ليس مراقبةً من الخارج، بل سكنى في الداخل.

وحين ننظر إلى السماء، لا نرى عينًا محدّقة، بل نرى مرآةً كبرى تعكس وعينا ذاته. فالسماء تراقب لأننا نحسّها حاضرة، ونجومها تشبه عيونًا لا تغفو، لكنها في حقيقتها إشاراتٌ إلى حضور أوسع : **حضور الوعي الإلهي الذي يدرك الأشياء في لحظتها، دون حاجة إلى زمان أو مسافة.**

تلك هي عين السماء التي لا تنام ، لا لأنها تتعب أو تسهر، بل لأنها ليست في زمن أصلاً. إنها الوعي المتجاوز الذي يحفظ الكون قائمًا على نظامه، في كل لحظة من اللانهاية. ولو غمضت تلك العين، لانطفأ الوجود بأسره، كما ينطفئ الحلم إذا استيقظ صاحبه.

فعين الله ليست رقيبًا على الحياة، بل هي الحياة التي ترى نفسها من خلالنا. وكل ما نراه نحن ليس إلا انعكاسًا صغيرًا لتلك الرؤية الكبرى. **وإذا كانت العيون البشرية تبصر بالأشعة، فإن عين الله تبصر بالوجود ذاته. إنها الرؤية التي لا تحتاج إلى نظر، لأنها علمٌ محض، وإحاطةٌ بلا حدود.**

البعض يحاول ظلماً و تزويراً اختزال العين إلى البؤبؤ كمن يختزل الكاميرا إلى عدستها .. لكن في الحقيقة العين هي كيان متكامل .. جفنان من أب و أم ، شمس و قمر ، كصدفتي محارة تحتضنان بينهما مادة بيضاء ناصعة و قزحية ملونة بألوان الطيف تمنح كل شخص بصمته الفريدة و بؤبؤ أسود يمر فيه الضوء إلى مستقره الأخير على الشبكية .. إن كرة العين أشبه بالكرة الأرضية و أشبه بالكون نفسه تختزل في تكوينها كل الوجود بكل تناقضاته و أبعاده و **كأنها ليست نافذة لرؤية مشهد بل لرؤية الوجود برمته ..**

في الختام ، هنالك علوم لا نتعلمها في جامعات الأرض سيد أوليفر حتى و إن كانت جامعة **عين شمس** كما رأيت بأم العين خلال الأعوام الأربعة المنصرمة ، بل في جامعة السماء ذاتها كالعلوم الإلهية على سبيل المثال عندما يكون الله في المركز و تدور الكواكب و الحقائق و الأسرار في فلكه..))

ما إن انتهى أوليفر من القراءة حتى شعر بقشعريرة تسري في جسده.

كانت الرسالة تتحدث عن العين...

العين بوصفها رمزًا مقدسًا عند الحضارات القديمة، وعينًا للسماء في آنٍ واحد.

العين التي لا تنام، التي ترى دون أن تُرى، التي تعرف أين يكون الإنسان قبل أن يعترف هو بذلك.

لقد عرفت أنه في صالة الانتظار.

عرفت أنه لم يصعد الطائرة بعد.

ابتلع ريقه.

هذا الأسلوب...

هذه المعرفة الدقيقة بتنقلاته...

يعرفها جيدًا.

هكذا كان السيد عزيز دائمًا.

خلال السنوات الأربع المنصرمة، كان يعرف أين يكون، متى يسافر، وأحيانًا ماذا يفكر، دون أن يسأل.

تدفقت إلى ذاكرته لحظة قديمة في هونغ كونغ، قبل عامين، عندما قال له السيد عزيز و هو يشرح على جهاز الإسقاط في ليلة ماطرة :

= شعاري المفضل في الحياة هو العين الثالثة ...وسأشرح لك معناها العميق في نهاية رحلة البحث عن الحقيقة.

في ذلك الوقت، لم يسأل.

كان يعرف أن بعض الشروح لا تُعطى إلا حين يحين وقتها.

فهل وصلت الرحلة إلى محطتها الأخيرة إذن؟

راوده إحساس مزعج.

إحساس بأن تكثيف الحقائق، وتسارع الكشف، لا يعد بشيء مفرح.

كان الأمر أشبه بشخصٍ محتضر، يملي وصيته بسرعة، قبل أن يغادر الوجود دون أن يلتفت خلفه.

هزّ رأسه بقوة، محاولًا طرد هذه الأفكار السوداوية، في اللحظة نفسها التي دوّى فيها الصوت الآلي في الصالة :

(الرحلة المتجهة إلى القاهرة ... يرجى من السادة المسافرين التوجه إلى بوابة الصعود.)

نهض أوليفر، حمل حقيبته، وألقى نظرة أخيرة على الهاتف قبل أن يضعه في جيبه.

مهما كانت الحقيقة...

كان قد اختار أن يذهب إليها.

هرم النقاط

مصر / القاهرة

تشرين الأول 2026 م ..

وصل أوليفر إلى الفندق قبيل العصر بقليل.

كان التعب قد بدأ يتسلل إلى جسده، لا من الرحلة وحدها، بل من ثقل الترقّب الذي حمله معه منذ مغادرته ميونخ. صعد إلى غرفته، وضع حقيبته قرب السرير، ونظّم حاجياته بحركات بطيئة، كأن ترتيب الأشياء الخارجية قد يساعده على ترتيب ما يعجّ في داخله.

اغتسل طويلًا، ترك الماء ينهمر على رأسه كأنه يحاول أن يغسل الأسئلة نفسها، لا آثار السفر فقط. ثم تناول طعامًا خفيفًا دون شهية حقيقية، مجرد طقسٍ ضروري ليبقى واقفًا حتى الليل.

عندما خرج إلى الشرفة، كان النهار قد بدأ يميل نحو الانكسار.

ومن هناك... رآها.

الأهرامات.

بدت من بعيد أقل ضخامة مما في الصور، لكنها كانت أثقل حضورًا.

كانت تقف في الأفق بثباتٍ لا يحتاج إلى استعراض، وأمامها، بدا ظلّ أبي الهول ممدودًا، صامتًا، كتميمة حظّ قديمة تحرس أسرارًا لم تُخلق لتُقال بسهولة.

استند أوليفر إلى حافة الشرفة، وترك نظره يستقر هناك.

فكّر بكل ما سبق وجرى.

بالرسائل، بالانتظار، بالأمل الذي نما رغم كل شيء.

بعد ساعات فقط، سيكون على قمة الحقيقة... أو على حافة خيبة جديدة.

هل السيد عزيز حي ؟

هل نجا فعلًا من تحطم الطائرة، واختار هذا المسرح العتيق ليكشف نفسه ؟

أم أنه مات بالفعل، وأرسل مبعوثًا ليبلغه رسالة شفهية أخيرة، أو إرثًا ماديًا له علاقة بالأسرار الكونية التي كان يحملها ؟

أمسك هاتفه، وبدأ يبحث كي يستعد لمغامرة منتصف الليل .

هرم خوفو.

ارتفاعه.

عدد طبقاته الحجرية.

طريقة الصعود إلى قمته، والزمن الذي قد يستغرقه ذلك.

قرأ أن الصعود ليس سهلًا، وأن الدرجات ليست درجات فعلية، بل كتل حجرية شاهقة، تتطلب توازنًا، قوة، وصبرًا.

قرأ عن محاولات فاشلة، عن تعبٍ مفاجئ، عن ليلٍ لا يشبه ليل المدن.

أغلق الهاتف، وزفر بعمق.

كان يعرف أنه – رغم صعوبة المهمة - لن يتراجع.

****

عند الساعة العاشرة ليلًا، وصل أوليفر إلى منطقة الأهرامات.

الليل هناك لم يكن مظلمًا تمامًا، ولا مضيئًا كما في المدينة.

كان خليطًا غريبًا من الظلال والنجوم، كأن السماء قررت أن تكون قريبة هذه الليلة.

شق طريقه نحو هرم خوفو.

كان يعرف المسار جيدًا، يتبع التعليمات التي رسمها الذكاء الاصطناعي على هاتفه، لكنه كان يشعر أن خطواته تقوده أكثر مما يقوده الهاتف.

وقف أمام الهرم لحظة قصيرة.

من الأسفل، بدا أكبر بكثير مما تخيّل.

رفع رأسه، وشعر بأن القمة بعيدة على نحوٍ رمزي، لا جسدي فقط.

بدأ الصعود.

كانت الكتل الحجرية ضخمة، غير منتظمة، تتطلب أن يضع يديه وقدميه بحذر.

كان عليه أن يصعد متعرجًا، لا بخط مستقيم، مستفيدًا من النتوءات الصغيرة، ومن فجوات نحتها الزمن لا البشر.

بعد الدقائق الأولى، بدأ النفس يثقل.

بعد ربع ساعة، شعر بحرارة في ساقيه.

وبعد نصف ساعة تقريبًا، أدرك أن الصعود ليس اختبارًا للجسد فحسب، بل للعزيمة.

كان الليل يحيط به من كل الجهات، والمدينة خلفه تصغر شيئًا فشيئًا.

كلما ارتفع، بدا العالم أسفلَه أقل أهمية، أقل ضجيجًا.

في منتصف الطريق تقريبًا، اضطر إلى التوقف.

جلس على حافة إحدى القطع الحجرية، وترك أنفاسه المتعبة تستعيد إيقاعها.

كان العرق يبلل جبينه، والبرد الليلي يلسعه في الوقت نفسه.

وفي تلك اللحظة، اهتز الهاتف.

توقف قلبه لحظة.

أخرج الهاتف، فرأى الإشعار الذي صار مألوفًا حدّ الرعب :

دياميس روما

جلس بثباتٍ أكبر، وفتح الرسالة فكانت لا تقل غرابة عن سابقاتها .

((الكون ليس كما تراه سيد أوليفر : و هذا المفهوم ببساطة يمكن تجسيده بكلمتين فقط :

(**الثابت** و **المتحوّل**)

فالكون بما يحتويه من أجرام من ضمنها الأرض التي نعيش عليها و ما عليها هو ثابت لا يتغير بقوانينه و حقائقه و يمكن ترميزه بالرقم **1** لأن الحقيقة لا شريك لها، أما الإنسان فهو متحوّل تتغير

قناعاته و نظرته للأمور تبعاً لتغير معرفته و يمكن ترميزه بالرمز المجهول **x** ..

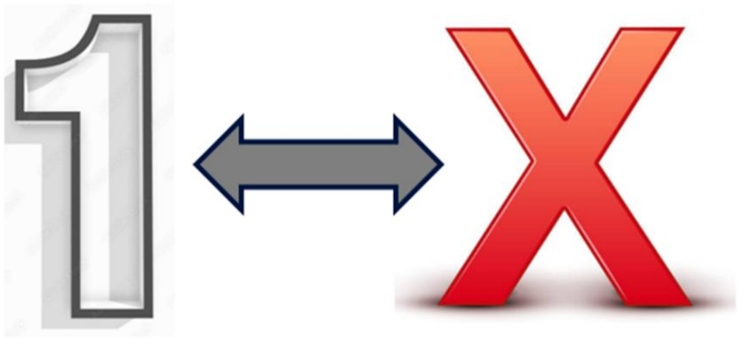

فمثلاً كان الكون بالنسبة للقدماء موطناً لآلهة كثيرة تتصارع فيما بينها و تصب غضبها على البشر بالكوارث الطبيعية ، أما اليوم فالكون هو عدد هائل جداً من الأجرام السماوية انبثقت عن نقطة مفرطة الكثافة بالانفجار العظيم ، و لا شك أن هذه النظرة للكون بحد ذاتها ستتطور أكثر مع تقدم الزمن و العلوم ، و هنالك للأسف وجه مظلم خطير لمفهوم الثابت و المتحول لابد من الإشارة إليه ، و هو أن **الإنسان يقتنع بشكل لا يقبل الشك بأن الكون هو فقط ما يراه منه و ما يعرفه عنه بمعنى أنه ينسب لنفسه صفة الثابت في المعادلة ، و يتعامل مع الكون من حوله و مع البشر الآخرين على أنهم متغيرون ..** فتتحول قناعاته هذه إلى عقيدة و إيديولوجيا و تشكل حقل ألغام يحيط به و يحميه من أفكار الآخرين أو من تغيير أفكاره و تطورها ، بل يتحول الإنسان إلى وحش بلا إنسانية إن حاول أحدهم الطعن بعقيدته هذه ، و عواقب هذا على البشرية نعرفه جميعاً و رأيناه بأم العين من مجازر و حروب ، و هذا هو بالضبط سبب **بطء تطور البشرية** عبر الزمن ، فأسرع طريقة للتطور هي اقتناع البشر التام بأنهم الطرف المتحول و الكون من حولهم هو الثابت ، أما الإيمان العكسي فيقتضي بالضرورة و للأسف سنين طوال من الركود المعرفي و التطوري باقتناع البشر أن الكون مقتصر على نظرتهم الراهنة إليه .. و يمكن تشبيه ذلك عند قيادة السيارة ، بأن الإنسان الثابت هو الفرامل و الكون الثابت هو البنزين ، أما تطور البشرية فهو السيارة ذاتها ..

و ما يهمني الآن في مفهوم الثابت و المتحول هو العلاقة الحقيقية بينهما ، أي أنّ الإنسان المتحول يرتقي بمعرفته خلال حياته تصاعدياً ليقترب أكثر من ذروة الهرم حيث يقبع الثابت كحقائق مطلقة لا تطالها إلا المعرفة المطلقة .. و هذا يقودنا إلى الفكرة الأهم :

فلسفة هرم النقاط و الاستبصار

فيمكن تشبيه البشر بحسب معرفتهم عن أنفسهم و عن الكون بهرم من النقاط المتشعبة .. حيث يقبع في رأس الهرم الإنسان ذو المعرفة المطلقة و هو بالطبع غير موجود ، لأن من يختص بهذه الصفة هو فقط الله ، أما طبقات الهرم فتمثل البشر بتدرجات معرفتهم ..

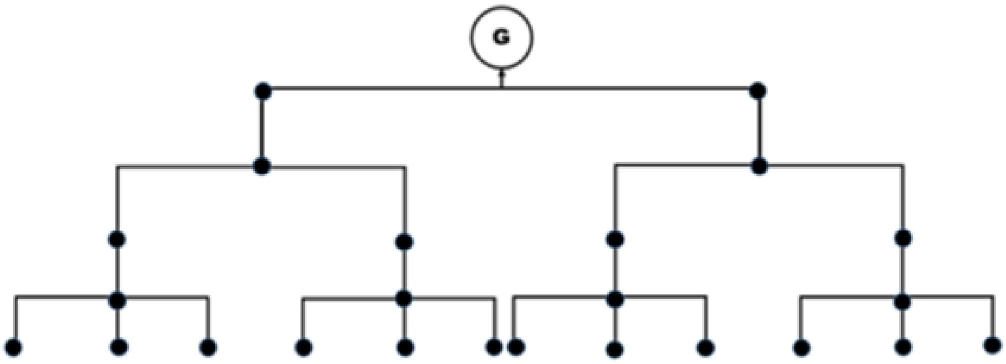

و للاستبصار علاقة وثيقة بهذا الهرم ، فكلما ارتقى الإنسان بمعرفته إلى طبقات أعلى ، بات يرى الأشياء في الكون من حوله بطريقة مختلفة عن البشر في الطبقات أدناه أو أعلاه على حد سواء

و الاستبصار مفتاح لصندوق من الكنوز المادية و المعنوية و هذا بتعبير آخر هو (**قوة المعرفة**) ، فكلما ارتقى الإنسان في هرم النقاط بات قادراً على تجنب كوارث حقيقية في حياته أو التعامل معها بطريقة غير اعتيادية ، أو اقتناص فرص و خير يمر في حياته ، في حين يمر في حياة الآخرين كسحابة عابرة لا تمطر بخيرها عليهم .. و لا تنسى سيد أوليفر القصة التي أخبرتك بها في ميلانو منذ أربع أعوام ، و سأعيدها عليك اليوم مجدداً للضرورة :

(تحكي القصة عن فلاح كان يحرث أرضه، فارتطمت فأسه بحجر غريب الشكل نزعه الفلاح ورماه خارج حقله بعد أن عرقل عمله ثم تابع الحراثة ..

وعند مرور رجل آخر بجوار الحقل عثر على الحجر الغريب فأعجب بشكله وأخذه إلى محل زينة ليشتريه منه البائع بخمسة فلوس.. ثم صدف أن مر تاجر أحجار كريمة بدكان بائع الزينة، فعرف على الفور أن ذلك الحجر الغريب هو حجر كريم ، نادر و باهظ القيمة و الثمن، لذا اشتراه من البائع بخمسة وعشرين فلساً كما طلب البائع .. أخذ التاجر الحجر، وباعه بدوره للشخص المناسب بمئات آلاف الفلوس.. و الخلاصة من هذه القصة أن كلاً من هؤلاء تعامل مع الحجر حسب معرفته بقيمته.. الفلاح الذي لم يعرف قيمته رماه، البائع باعه بثمن بخس، أما التاجر المختص فكوّن ثروةً منه ..)

و هذه هي قوة معرفة المستبصر ، يرى الأشياء بطريقة لا يراها بها البشر في مستويات نقاط أقل منه فيتجنب المشاكل أو يغتنم الفرص !! و في التاريخ قصة حقيقية مشابهة تماماً لهذه القصة الافتراضية ، ففي رحلاتهم الاستكشافية لأمريكا الجنوبية بحثاً عن مدن الذهب الغامضة ، عثر الأوروبيون على كميات هائلة من

معدن البلاتينيوم (من أغلى معادن التاريخ) ، لكنهم كانوا يتذمرون من ذلك لأنهم كانوا يطمعون بالذهب ، فكانوا يلقون بالبلاتينيوم بعيداً ، لأنهم لم يعرفوا في ذلك الوقت ندرة و قيمة هذا المعدن و استخداماته الهامة .. بمعنى آخر ، كانت بين أيديهم ثروة و رموها بعيداً بسبب جهلهم و قصور معرفتهم !!

و الجميل في نظرية هرم النقاط و المستبصر ، هو أنّ المستبصر بترقيه في هذا الهرم يكتسب المعرفة **بتسارع و ليس بسرعة ثابتة** ، فمثلاً الطبقة الأولى تفتح لك باباً من المعرفة ، أما الطبقة الثانية فتفتح لك بابين و هكذا ، و السبب في ذلك هو تفاعل المعارف الجديدة مع بعضها و مع المعارف القديمة لتنبثق منها معارف أخرى .. و هذا ما نجده في مقولة كبير الفلاسفة **الإمام علي بن أبي طالب** :

(كل إناء يضيق بما جعل فيه إلا وعاء العلم فإنه يتسع)

و كمثال بسيط على ذلك ، النظرية النسبية أتت بمفاهيم جديدة عن الفيزياء و الكون ، لكنها تفاعلت مع الفيزياء الكلاسيكية و مع نفسها لينبثق عنها حقائق أخرى أبعد من النظرية النسبية ذاتها حيث فتحت عشرات الأبواب للمعرفة في علوم الفيزياء و الفلك بعيداً عن قانون النسبية بعينه..

و في الحقيقة فلسفة هرم النقاط قديمة قدم البشرية ، و ضمّنها الناس في أساطيرهم و عقائدهم ، فنجدها عند الإغريق متجسدة بجبل الأوليمب الذي يقطن الآلهة على قمته ، و عند الفراعنة بأهرامات الجيزة التي تصعدها بنفسك الآن ، و عند البابليين بحدائق بابل المعلقة ، و عند شعوب المايا و الإنكا و الأزتيك

بأهرامات الشمس ، كما نجدها عند البنائين الأحرار بشعارهم الشهير و غيرهم كثير ..

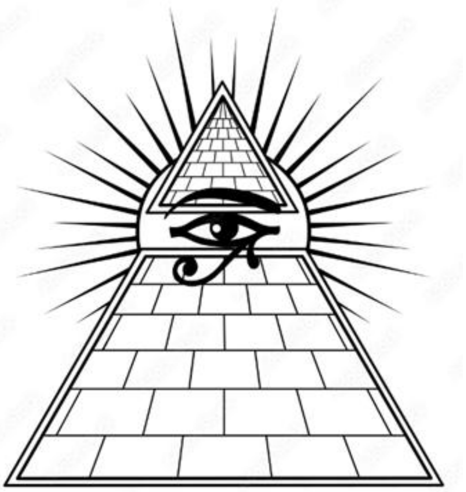

و السؤال الهام هنا ، ما هي الطريقة التي يرتقي فيها الإنسان المتحول هرم النقاط نحو قمة الهرم الثابتة ليصبح من المستبصرين ؟! الإجابة ببساطة كلمة واحدة فقط :

اقرأ

فكما لاحظت عزيزي أوليفر الارتقاء بهرم النقاط لا يكون سوى بالمعرفة ، و المستبصر لا يختلف عن الإنسان العادي إلا بمعرفته الزائدة عليه .. لذا نجد أنّ أول كلمة في الرسالة المحمدية كانت (**اقرأ**) و كأنّ الله يمنحنا على طبق من ذهب الوسيلة الحقيقية لارتقاءبهرمه الذي يعتلي عرشه في قمته بمعرفته المطلقة ..

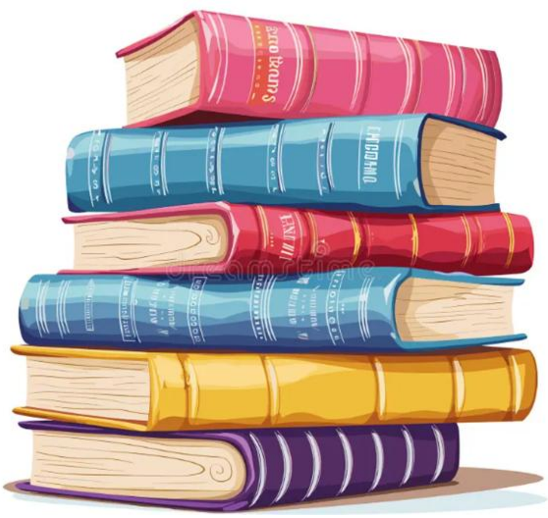

و للأسف رغم أهمية المعرفة هذه ، فإنّ كثيراً من البشر في يومنا هذا يميلون للاهتمام بأمور ثانوية سطحية لا تقدم و لا تؤخر و يمنحونها وقتهم و جلّ تفكيرهم كحرق حقيقي لسنوات عمرهم ، فيحكموا على أنفسهم بالبقاء كمستحاثات في قاعدة هرم النقاط لم يعرف التطور و التغيير طريقه إليها .. و الخطير في الموضوع هو ثقة هؤلاء الهائلة بأنفسهم و الإصرار على رؤية الكون من منظورهم كحقيقة ثابتة لا تعرف الشك .. رغم أن هذا الوضع باطل معنوياً ، بل حتى مادياً أيضاً، فعندما يرتقي الإنسان هرماً حقيقياً كهرم خوفو مثلاً فإنه كلما ارتفع أكثر سيرى مساحات أوسع من حوله ، أما من يقف على الأرض بجوار الهرم فلن يرى سوى أرض مسطحة أمامه .. و يريد أن يقنعك بأن الأرض هي ما يراه بعينيه فقط .. كما قال الفيلسوف الإغريقي **أرسطو** :

(الجاهل يؤكد و العالم يشكّ، و العاقل يتروّى)

و هؤلاء الجهلة أنفسهم ، إن مرضوا و تدهورت صحتهم سيلجؤون إلى المشعوذين و غير المختصين لعلاجهم فينتهي بهم المآل إلى العجز أو الموت، في حين يمكن لطبيب مستبصر جيد أن يشفيهم بحبة دواء لا أكثر بعد تشخيصه الدقيق لمرضهم معتمداً على قوة المعرفة ، أي ببساطة **الجهل موت و المعرفة حياة** ..

و للمعرفة و اكتساب العلوم قائمة لا تنتهي من الفوائد تنصّبها بلا منازع ملكاً على هرم الحياة ، أذكر منها لك :

- المعرفة مفاتيح لحل المشاكل في الحياة ..
- المعرفة شبكة لاقتناص الفرص و الأمور الإيجابية
- المعرفة فهم أعمق للذات و بالتالي التحكم بالنفس و توجيهها كما نريد لا توجيهنا كما تريد ..
- المعرفة متعة للعقل لا تضاهيها أي متعة أخرى .. و أجمل ما فيها أنها متعة لا تنتهي فنبع العلوم لا ينضب و حياة الإنسان قصيرة للغاية **!!**

۞ المعرفة صفة تسمو بنا بين البشر و ترفع مقامنا في الحياة ، كما قال الإمام **علي بن أبي طالب** : (كفى بالعلم شرفاً أن يدعيه من لا يحسنه و يفرح به إذا نسب إليه، و كفى بالجهل ذماً أن يبرأ منه من هو فيه)

۞ المعرفة اطلاع على حضارات الماضي و دنيا من الخيال لما هو آتٍ في المستقبل ..

۞ المعرفة تحسن الأخلاق، فالإنسان كلما عرف عن الكون أكثر شعر بالضعف و العجز فتواضع أكثر ..

۞ المعرفة تمنحنا وعياً و حكمة في التعامل مع الحياة و الآخرين و المشاكل اليومية ..

۞ المعرفة طريق معبدة إلى الإيمان بالله ، كم قال نبي الرحمة **محمد** (العلماء ورثة الأنبياء) ..

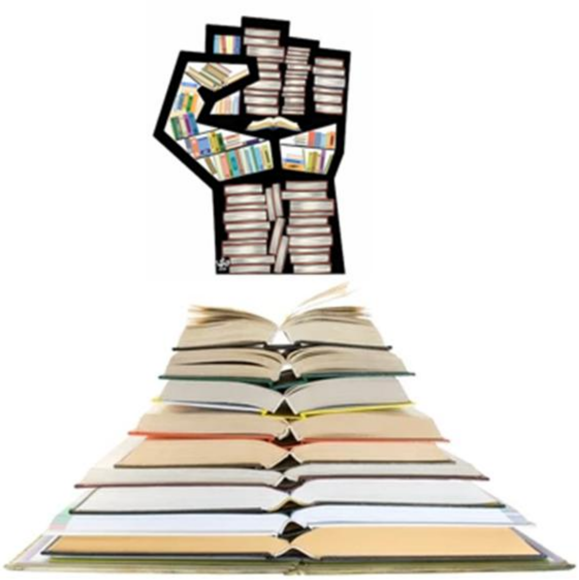

۞ المعرفة خير ترياق لوقت الفراغ السام الذي يلوث العقل و النفس ..

۞ يكفي المعرفة شرفاً و قيمة أننا كنّا لولاها لانزال نقطن في الكهوف في حالة رعب من الوحوش المفترسة الضارية .. بل حتى اختباء أجدادنا في الكهوف هو بحد ذاته نتاج المعرفة و التجربة بأنها أكثر أماناً !!

۞ و بالطبع المعرفة هي الطريق الوحيد لارتقاء هرم النقاط في رحلتنا للقاء الله في قمته (الثابت الوحيد) ..

فلسفة هرم النقاط موجودة في كل شيء من حولنا ، من بنية الدول إلى المؤسسات و الشركات إلى العائلة .. و بالطبع لا ننسى بأن كل إقليم من أقاليم الحياة يأخذ منحنياً هرمياً ، حيث يقبع عباقرة المجال في درجات عليا منه كالعلوم و الفنون و الأدب و السياسة و أيضاً الدين الذي يتدرج نزولاً من الأنبياء و الرسل إلى القديسين فالأولياء الصالحين ثم الناس الأتقياء و هكذا.. و لا شيء يميز بين هذه الطبقات سوى المعرفة فقط ، فمن امتلك معارف أكثر ارتقى إلى طبقات أعلى ليرى الأمور بشكل أوضح و أوسع على نقيض القابعين في قاعدة الهرم ..

و يبقى أجمل شيء في فلسفة هرم النقاط و الاستبصار أنه **طريق باتجاه واحد** ، و هذا من أكبر نعم الله علينا ، فمن يمتلك المعرفة ستتغير نظرته للحياة تدريجياً مع استحالة العودة إلى نظرته السابقة لها ، و أنت أدرى الناس بذلك سيد أوليفر .. أي أن المعرفة كنز عظيم و أثمن شيء فيه أنك لن تخسره ابداً بعد امتلاكه، و هذا ما أشار إليه الأديب النيوزلندي **هو والبول** بمقولته الرائعة :

(في كل العلوم تأتي الأخطاء قبل الحقيقة، وهذا أفضل من أن تأتي في النهاية)

فاشحذ همتك عزيزي أوليفر و تابع المضي في مغامرتك الشيقة صعوداً مرتقياً هرم النقاط كي ترى الكون من حولك على حقيقته الثابتة لا وفق رؤية البشر المتحولة له ، و هذا بلا شك شعور عظيم لا يوصف بمفردات القواميس و يمنحك فوائد جمة لا تحيطها الموسوعات .))

أنهى أوليفر القراءة ببطء و دهشة عارمة ، كأن الكلمات كانت تتطلب أن تُهضم، لا أن تُقرأ فقط.

كانت الرسالة تتحدث عن هرم النقاط المعرفي ، و عن الاستبصار...

ذلك المفهوم الذي حدّثه عنه السيد عزيز ذات مرة في هونغ كونغ، حين قال إن المعرفة لا تُمنح دفعة واحدة، بل تُرتقى، نقطةً بعد نقطة، كما يُرتقى الهرم حجرًا بعد حجر.

كان مضمون الرسالة ينسجم على نحوٍ يكاد يكون مخيفًا مع تجربته الحالية.

هو الآن، حرفيًا، يرتقي هرمًا، متجهًا نحو قمة، لا يعرف ما ينتظره فيها، لكنه يعرف أن النزول بعد الصعود لن يكون كما قبله.

أغلق الهاتف، وبقي جالسًا لحظة إضافية، يتأمل السماء.

النجوم بدت قريبة، والعين الثالثة التي كان السيد عزيز يذكرها دائمًا بدت، لأول مرة، فكرة محسوسة لا مجرد رمز.

نهض مجددًا، وأكمل الصعود.

كانت الخطوات الأخيرة هي الأصعب.

ساقاه ترتجفان، صدره يعلو ويهبط بعنف، وكل نفس كان يبدو كأنه الأخير.

لكن أخيرًا... وصل.

بلغ القمة، يكاد لا يستطيع التقاط أنفاسه.

وقف هناك، في أعلى نقطة، حيث الهواء أصفى، والصمت أعمق.

تلفّت حوله.

لكن ..

لم يكن هناك أحد.

دهش قليلًا.

كان يتوقع، في أعماقه، أن يرى ظلًا، أو شخصًا ينتظره، أو حتى حركة توحي بوجودٍ آخر.

لم يجد شيئًا ، كان وحيداً على قمة الهرم ..

وقف يستعيد أنفاسه، ثم نظر إلى ساعته.

كانت تشير إلى منتصف الليل إلا ربع ساعة.

انتظر.

والهرم، بكل ثقله وصمته، بدا كأنه ينتظر معه.

العقل الكونيّ

مصر / القاهرة

تشرين الأول 2026 م ..

مضت دقائق الربع ساعة ببطءٍ مؤلم، كمن يمشي حافيًا على جمرٍ لا يُرى.

كان أوليفر يقف على قمة الهرم، يراقب عقارب ساعته وكأنها تتآمر عليه، ترفض أن تتحرك إلا بمقدار ما يزيد الترقّب قسوة. الهواء الليلي كان باردًا، يلسع جلده المتعب، والنجوم فوقه ثابتة على نحوٍ يثير الغضب، كأن السماء لا تكترث بما يحدث لإنسان واحد ينتظر الحقيقة.

ثم ... انتصف الليل.

لم يظهر أحد.

لا ظلّ،

لا صوت،

لا حركة تشير إلى حضورٍ بشري.

شعر أوليفر بشيء ينقبض في صدره.

تسللت الخيبة ببطء، لا كضربة مفاجئة، بل كمدٍّ بارد يصعد من القدمين نحو القلب.

هل أخطأ الفهم ؟

هل بالغ في التأويل ؟

هل كان هذا اللقاء كله ... وهمًا ؟

وقبل أن يستكين تمامًا إلى هذا الشعور، وقبل أن يسمح له بأن

يتحول إلى يقين، اهتز الهاتف في يده.

توقف الزمن مرة أخرى.

المرسل ذاته : **دياميس روما**

فتح الرسالة بدهشة من كان ينتظر وجهًا، فتلقّى كتابة.

)) منذ أن فتح الإنسان عينيه على اتساع السماء، راح يسأل نفسه :

هل الوعي محصور في جمجمته، أم أنّه يتجاوزها ؟

هل يفكّر الإنسان بالعقل، أم أن الكون نفسه عبارة عن دماغ عملاق يُفكّر من خلال الإنسان ؟

تلك الأسئلة التي تردّدت في المعابد القديمة كما في مختبرات الفيزياء الحديثة، تقودنا إلى فكرة **الوعي الكوني** ، الفرضية التي ترى أن الوعي ليس نتاج الدماغ البشري فحسب، بل هو نسيج كوني شامل، البحر الذي تسبح فيه كل الكائنات والأفكار، والمصدر الذي يربط الذرّة بالمجرة، والنَفَس بالخلود.

الوعي الكوني هو الفكرة التي تُذيب الحدود بين الداخل والخارج، بين الذات والموضوع.

فالعقل البشري ، في هذا التصوّر، ليس مصباحًا منفصلاً، بل شعلة من نارٍ عظيمة تُضيء من وراء الزمان ..

إنه المحيط الذي تُلقي فيه المجرّات بأمواجها، كما تُلقي الأدمغة بأفكارها.

لنحاول معاً عزيزي أوليفر مقاربة فرضية العقل الكوني من مختلف الزوايا (دينية ، علمية ، فلسفية) ..

في **النظرة الدينية**، نجد جذور الوعي الكوني متوغّلة في أعماق النصوص المقدّسة.

فالله في جوهره - كما تقول الأديان التوحيدية - ليس كائنًا منفصلًا عن الكون، بل حاضراً فيه حضوراً يملأ كلّ ذرة وكلّ قلب. يقول القرآن الكريم :

(سنريهم آياتنا في الآفاق و في أنفسهم)

إشارة إلى أن جوهر الله يتغلغل في كل ثنايا الكون ..

وفي **التصوّف الإسلامي**، تبلورت هذه الفكرة بوضوح مذهل. **فابن عربي** مثلاً يقول :

(العالم خيال، والحقّ هو الظاهر فيه بصورة الخيال)

أي أنّ الله لا يُرى إلا في مرايا الوجود، وأن كلّ ما نراه هو تجلٍّ للوعي الإلهي.

أما في **الفلسفة الهندوسية القديمة**، فمفهوم **البراهمان** يمثّل الحقيقة الكلية، الوعي الذي لا بداية له ولا نهاية، والذي تتجلّى فيه كلّ الأشياء كما تتجلّى الأمواج في البحر.

والإنسان عندهم هو **أتمن** ، أي الوعي الفردي، الذي ما هو إلا انعكاس للوعي الكلي ، ومهمة الحياة هي إدراك أن الأتمن هو البراهمان نفسه، أي أن (**أنا ليست سوى الكلّ**) وقد نسي ذاته.

وفي **المسيحية**، يمكننا أن نلمح ذات المعنى في قول المسيح :

(ملكوت الله في داخلكم)

أي أن الحضور الإلهي ليس بعيداً في السماء، بل نابض في عمق النفس، كأنّ الوعي البشري هو البوابة التي يطلّ منها الله على العالم.

و في **التوراة** يقول الله أنه خلق الإنسان على صورته ، أي أن الدماغ البشري ما هو إلا إسقاط لدماغ كوني أكبر

وهكذا، حين ننظر دينيًا، نجد أن الوعي الكوني ليس فكرة غريبة، بل هو اللغة السرّية التي تحدثت بها الأديان جميعها ، لغة تقول إن الله، أو الحقيقة المطلقة، ليست خارج الكون بل فيه، وليست منفصلة عن الإنسان بل متجلية فيه.

لننتقل إلى **الزاوية العلمية** مع تجربة علمية مذهلة تفجّر العقل حرفياً ، حيث قام كل من **فرانكو فازا** عالم الفيزياء الفلكية في جامعة بولونيا الإيطالية ، و **ألبرتو فيليتي** جراح الأعصاب في جامعة فيرونا الإيطالية بإجراء مقارنة بين الشبكة الكونية و الشبكة العصبية في الدماغ ، لتظهر لهما أوجه تشابه مفاجئة كثيرة بينهما :

❁ الدماغ البشري يعمل بفضل شبكته العصبية الواسعة التي تحتوي على ما يقارب **100** مليار خلية عصبية، كذلك الأمر يتكون الكون المرئي من شبكة كونية من **100** مليار مجرة على الأقل ..

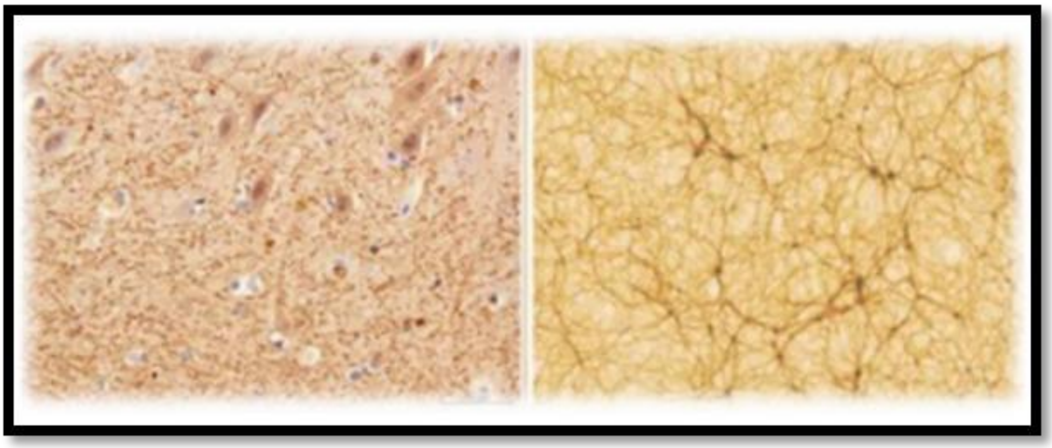

❁ داخل كال النظامين تتكون **30 %** فقط من كتلة الشبكتين من مجرات خلايا عصبية، في حين يتكون **70 %** من توزيع الكتلة من مكونات تلعب على ما يبدو دوراً سلبياً (الماء في الدماغ والمادة المظلمة في الكون المرئي)..

❁ ليس ذلك فحسب بل إنّ تراتب المجرات و الخلايا العصبية هو نفسه في الشبكتين ، عبارة عن خيوط طويلة مع عقد بين الخيوط ..

❁ أخيراً تبين أن الكثافة الطيفية متشابهة بين الشبكتين ..

فهل نحن حقاً مجرد أفكار طارئة تجول في خيال هذا الدماغ الكوني العملاق ؟!

منذ قرون، كان العلم المادي يرفض كل ما هو غير ملموس.

لكن في القرن العشرين، ومع ثورة الفيزياء الكوانتية، بدأ كل شيء يتغيّر.

فالعلماء الذين كانوا يبحثون عن المادة الصلبة اكتشفوا أن المادة تتصرّف كالموجة، وأن الجسيمات لا توجد إلا حين تُرصد، وكأن الوعي هو من يخلق الواقع لحظة الملاحظة.

في تجربة الشق المزدوج ليونج الشهيرة، أثبت الفيزيائيون أن الإلكترون يسلك سلوكاً مختلفاً إذا تمّت مراقبته و كأنه يملك وعياً ذاتياً !!.

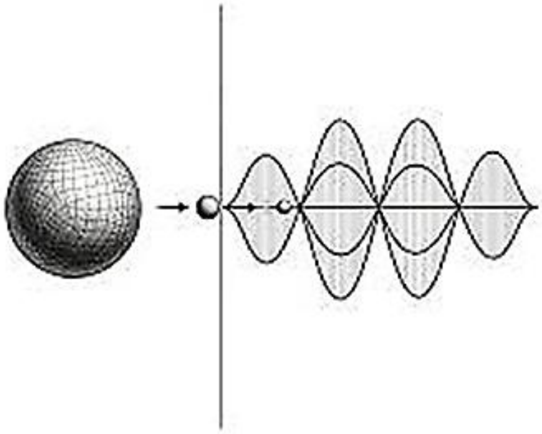

وهذا يعني أن الوعي ليس مجرّد متفرّج، بل فاعل أساسي في بنية الكون.

ومن هنا انطلقت فرضيات جديدة تقول إن الوعي ليس نتيجة للمادة، بل المادة نفسها مظهر من مظاهر الوعي.

في القرن الحادي والعشرين، صارت هذه الفكرة أكثر جديّة.

فالعالم **روجر بنروز**، الحائز على نوبل في الفيزياء، يرى أن الوعي مرتبط بظواهر كمّية تحدث في أنابيب دقيقة داخل الخلايا العصبية، ما يعني أن العقل البشري ليس آلة ميكانيكية، بل **نقطة التقاء بين المادة والوعي الكوني الكمومي.**

وعالم الأعصاب **كريستوف كوخ** يذهب أبعد من ذلك، إذ يقول إن كل شيء - حتى الذرّة - يحمل درجة من الوعي ، صغيرة لكنها موجودة.

هذا هو ما يسمّى في الفلسفة بـ **البانسيكزم** أي أن الوعي مكوّن أساسي من مكوّنات الواقع، كالمكان والزمان والطاقة.

تُظهر دراسات فيزياء المعلومات أن الكون كله يمكن أن يُفهم كنظام معالجة بيانات هائل، أشبه بعقلٍ لا نهائي يتبادل الرموز والمعاني عبر المجرّات.

بل إن بعض العلماء يقترحون أن الكون ذاته يفكّر عبر قوانينه، تطوّره، وتراتبية أنظمته، كما يفكّر الدماغ عبر تشابكاته العصبية.

وبهذا يصبح الإنسان، في المنظور العلمي الحديث، خليّة في دماغ كوني، يساهم وعيه الفردي في وعي المجموع.

أما بالنسبة **للفلسفة** ، فمنذ أن قال **ديكارت** : (**أنا أفكر إذن أنا موجود**) ، تمركز الفكر الغربي حول الذات المفكّرة.

لكنّ الفلاسفة اللاحقين بدأوا يشكّكون في هذا التمركز : هل الأنا فعلاً مستقلة، أم أنها نتاج شبكة أكبر من الفكر و الوجود ؟

هيغل، مثلاً، رأى أن **الوعي ليس فردياً بل كليّاً** ، عقل العالم الذي يتطوّر عبر التاريخ ليعرف ذاته من خلالنا.

وفي القرن العشرين، قدّم الفيلسوف الألماني **شلينغ** مفهوم **الطبيعة الواعية بذاتها** ، حيث كل شيء في الوجود يسعى إلى الوعي بالذات ، من الذرّة إلى الإنسان إلى الإله.

أما الفلاسفة الوجوديون، فقد رأوا في الوعي الكوني طريقاً للتحرّر من عبودية الذات.

فـ **هايدغر** تحدّث عن **الكينونة** لا بوصفها موضوعاً نعرفه، بل **كنور يُشرق** داخل وعينا.

إنه يقول، في جوهر فكره، إن الوجود نفسه واعٍ، وإن الإنسان ليس إلا نافذة مفتوحة عليه.

وفي الفلسفة الشرقية الحديثة، **كفلسفة كريشنامورتي**، يُقال إن الوعي البشري هو نتيجة انقسام بين المراقِب والمراقَب، وإن التحرّر يكمن في إدراك أنه لا فصل بينهما ، أن الوعي هو المرآة التي تعكس نفسها إلى ما لا نهاية.

بمعنى آخر : **حين نعرف أن الوعي ليس لي و لا لك ، بل هو الكلّ، نتحرر.**

أما في اليونان القديمة ، فقد آمن **أفلاطون** بالنفس الكونية التي تخلق العالم على صورتها.

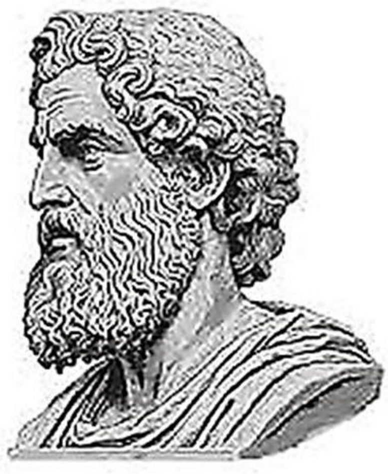

قال إن النجوم والكواكب ليست جمادات، بل كائنات حية عاقلة، تتحرك بانسجام لأنها تفكر في انسجام.

وفي **الفلسفة الرواقية**، كان الكون جسدًا واحدًا أيضاً، والعقل الإلهي هو **اللوغوس** (القوانين الكونية) الذي يسري فيه كما يسري العقل في الجسد.

و حين يقول الحلاج : (**مزجت روحك بروحي كما تمتزج الخمرة بالماء الزلال**) ، فهذا تأكيد على أن الإنسان جزء ذائب في نسيج الوعي الكوني ..

وهنا تظهر المفارقة الكبرى : الفلسفة والدين والعلم - على اختلاف لغاتهم - تلتقي جميعاً عند عتبة واحدة :

أن الوعي أقدم من المادة، وأن الكون، في عمقه، ليس شيئاً ، بل حالة من الإدراك المستمر.

فحين ننظر إلى كل هذه الزوايا - الدينية والعلمية والفلسفية - نكتشف أن نظرية الوعي الكوني ليست ترفاً فكرياً، بل منظور شامل لتوحيد الفهم الإنساني.

إنها تقول لنا إننا لسنا جزراً معزولة، بل خلايا في كائن أعظم، وأن كلّ وعي فردي هو صدى للوعي الأكبر الذي يُفكّر بنا جميعًا.

قد يبدو هذا التصوّر صوفيًا أو شاعريًا، لكنه يحمل دلالات عملية عميقة :

فإذا أدرك الإنسان أنه ليس منفصلاً عن العالم، سيتوقف عن استغلاله وتدميره.

وإذا شعر أن كل كائن حيّ هو تجلٍ للوعي نفسه، سيتعامل مع الوجود برحمة ودهشة واحترام.

إنها ليست فكرة عن الكون فحسب، بل طريقة جديدة للعيش فيه.

في النهاية، ربما يكون الوعي الكوني هو الوجه الآخر للوجود ، المرآة التي ينظر الله من خلالها إلى ذاته، والعقل الذي تحلم به المجرّات، والنبض الذي يوحّد التراب بالروح، والنور بالظلّ، والإنسان بالكلّ.

يقول العالم **كارل ساغان** :

(نحن وسيلة الكون لمعرفة نفسه)

تلك الجملة تلخّص فرضية العقل الكوني كلها في ومضة واحدة.

فالإنسان، في جوهره، ليس سوى أداة الإدراك الكبرى التي بها يعبر الوعي الكوني عن ذاته.

إننا، حين نفكر، لا نخلق الوعي، بل نُعيده إلى بيته الأصلي.

وحين نتأمل في سماء الليل، فالنجوم لا تلمع فحسب، بل تفكّر بنا.

في لحظات الصفاء العميق ـ في الصلاة، في الحب، في الفن، في الصمت ـ نشعر بشيء يوقظنا من داخلنا، كأننا نتذكّر أننا لم نكن أبدًا منفصلين، وأن هذا العالم ليس سجنًا، بل جسد الوعي الكوني نفسه، وأننا ذرات في فكره العظيم.

إنها لحظة الفهم التي فيها يهمس الكون للإنسان :

(**أنت لست شيئاً في داخلي** ، **بل أنا الذي في داخلك**)

أين الله من كل ذلك ؟ إنه الكون الأكبر حرفياً سيد أوليفر .. العقل الأعظم الذي تشكلت الزيتونة شجرة السماء في رحمه عندما خلقها و صورها كيفما يشاء .. ثم صممت بنفسها الكون الأصغر ضمنه كمدرسة للبشر تعلمهم معنى الحياة قبل أن يعودوا إلى الأصل إلى الكون الأكبر .))

أنهى أوليفر القراءة، وبقي واقفًا دون حركة.

رفع رأسه ببطء من على قمة الهرم ، ونظر عاليًا إلى السماء، حيث الكون الشاسع يتمادى في كل اتجاه، بلا حدود مرئية، بلا مركز يمكن الإمساك به.

هناك، في ذلك الاتساع الصامت، بدأ مضمون الرسالة يتشكل في وعيه.

الكون... دماغ عملاق يفكّر.

ليس مادة فقط، ولا فراغًا، بل فكرة كبرى في حالة تأمل دائم.

والبشر... تجسيد لبعض أفكاره، محاولات جزئية للوعي بأن يعرف نفسه بنفسه.

أما الله...

فلم يكن خارج هذا كله، بل هو الكون الأكبر، حيث تقيم شجرة السماء الزيتونة، الرحم الأساس ، الجذر الأول، و الفكرة الأب و الأم.

ومنها، يتوسّع كوننا الأصغر، محمولًا في كرة سحرية بين يديها، كما أخبره السيد عزيز من قبل، في دياميس روما، هناك في جامايكا، حين قال له إن العظمة الحقيقية لا تكون في السيطرة، بل في الاحتواء.

نظريات عجيبة.

مخيفة.

تسبب القشعريرة.

ومع ذلك... كانت منطقية على نحوٍ يبعث السكينة في تناقض غريب .

كأنها لا تفرض نفسها على العقل، بل تهمس له بما كان يعرفه منذ زمنٍ بعيد ولم يجرؤ على صياغته.

تنفس بعمق.

لكن السؤال الذي عاد يفرض نفسه بإلحاحٍ موجع كان أبسط من كل هذه التعقيدات :

ماذا الآن ؟

هل انتهت المغامرة على هذا النحو ؟

هل قطع كل هذه المسافة، وصعد هذا الهرم، وتحدى جسده وخوفه، ليُمنح حقيقة جديدة ... دون أن يُمنح جوابًا شافياً عن مصير السيد عزيز ؟

نظر إلى الأسفل، إلى الأضواء البعيدة، إلى الأرض التي تنتظره بصبر.

خطا خطوة صغيرة، و هو يستعد للنزول، كمن يسلّم بأن بعض الأبواب لا تُفتح.

وفي تلك اللحظة...

اهتز الهاتف مجددًا.

تجمّد في مكانه.

رسالة جديدة من دياميس روما ..

فتح الرسالة.

لكنها هذه المرة لم تكن كلمات.. لم تكن حقائق .. لم تكن أسراراً

و لم تكن فلسفة.

كانت إحداثياتٍ جغرافية.

أرقام دقيقة، صارمة، لا تقبل التأويل.

وتحتها، سطر يتيم، قصير، لكنه كان كفيلًا بأن يعيد الدم إلى عروقه دفعة واحدة :

(اتبع الإحداثيات ، كي تصل إلى كنزك)

ابتسم أوليفر ابتسامة خفيفة، متوترة، تشبه ابتسامة من أدرك أن الطريق لم ينتهِ بعد.

لم يكن يعرف ما الذي ينتظره، ولا إن كان الكنز معرفة، أو لقاء، أو جوابًا طال انتظاره.

لكنه كان يعرف شيئًا واحدًا فقط :

أن اللعبة لم تنتهِ …

وأن السيد عزيز اليقين، حيًا كان أم ميتًا، ما زال يقوده خطوةً بعد خطوة.

جذور الزيتونة

مصر / القاهرة

تشرين الأول 2026 م ..

لامست قدما أوليفر الأرض مجددًا، كمن يعود من حافة حلمٍ كثيف إلى واقعٍ لا يقل غرابة.

نزل عن الهرم ببطء، وكل خطوة إلى الأسفل كانت تشعره أنه لا يهبط فقط في المكان، بل في طبقات المعنى أيضًا. عند أسفله، كان الليل ينسحب بهدوء، تاركًا خلفه خيوط فجرٍ خجولة بدأت تلوّن الأفق.

توجّه نحو أقرب سيارة أجرة متوقفة على مسافة غير بعيدة. فتح الباب وجلس، ثم مدّ هاتفه إلى السائق وسأله، بصوتٍ حاول أن يجعله عاديًا :

= هل يمكنك الاستدلال إلى هذا المكان ؟

نظر السائق إلى الشاشة، أدخل الإحداثيات في نظام السيارة، ثم هزّ رأسه مؤكدًا.

تحرّكت السيارة، وانطلقت في طريقٍ طويل، صامت في معظمه، كأن المسافة نفسها كانت بحاجة إلى احترام.

لم يتبادلا الكثير من الكلام.

كانت القاهرة تستيقظ ببطء، ثم تبتعد، والطرق تمتد كأفكارٍ لا تنتهي.

مع مرور الساعات، تغيّر الضوء، وبدأ الفجر يقترب من اكتماله، وحين لاحت ملامح الإسكندرية، كان أوليفر قد فقد الإحساس بالزمن تمامًا.

وصلوا مع اقتراب الفجر.

ترجّل أوليفر من السيارة، ودفع الأجرة، ثم وقف لحظة يتأمل المكان.

وما رآه جعله يتجمّد.

المنزل !!.

كان منزل السيد عزيز اليقين.

هو يعرفه جيداً .. فقد زاره من قبل، في أحجية سابقة، حين ظنّ أن الرجل قد قُتل في حادث سير.

الواجهة نفسها، الصمت نفسه… لكن شيئًا كان ناقصًا.

لم يكن هناك بوّاب ينتظره عند البوابة الخارجية.

تقدّم بخطوات حذرة، يتبع الإحداثيات التي باتت تشير إلى قربٍ شديد.

اقترب أكثر… ثم اقتحم البوابة. لم تكن مقفلة بإحكام، كأن المكان كان ينتظره.

استدار يمينًا، كما أمْلته الخريطة، وولج في غابة من الأشجار الضخمة التي تحيط بالمنزل.

كانت الأشجار عالية، كثيفة، تحجب الضوء، وتجعل الفجر يبدو أقدم مما هو عليه.

شق طريقه بينها، حتى توقّف فجأة.

هناك…

في قلب تلك المساحة المشجرة، وقفت شجرة زيتون معمّرة، يتيمة، شامخة رغم وحدتها.

ذكرته بزوجته شام أو زيتونة الميتم كما كانت تدعى في طفولتها

القاسية .

كان في الشجرة شيء يشبهها ... الثبات دون ضجيج .. العطاء دون مقابل

نظر إلى الهاتف.

الإحداثيات أعلنت بوضوح : **أنت في المكان الصحيح.**

وقبل أن يستوعب ذلك، وقعت عيناه على ما هو أكثر غرابة.

عند جذع الشجرة، كان هناك معول ومجرفة، موضوعان بعناية.

وأمامها، ثلاث صخور متقاطعة، كعلامة قديمة لا تحتاج إلى شرح.

لم يستغرق وقتًا طويلًا في التفكير.

كان يعرف، في أعماقه، ما الذي عليه فعله.

أمسك الأدوات، وبدأ الحفر عند موضع الصخور.

الأرض لم تكن صلبة كما توقّع، كأنها حُفرت من قبل ثم أُعيد سترها بعناية.

على عمق يقارب المتر، اصطدمت المجرفة بشيء خشبي.

توقّف.

ترك الأدوات، وجثا على ركبتيه، وأخرج الصندوق بيدين مرتجفتين.

كان صندوقًا خشبيًا بسيطًا، لا يحمل أي نقش أو علامة.

فتحه.

في داخله...

كان هناك كتاب، ومفتاح.

ابتلع ريقه.

أمسك الكتاب أولًا، نظر إلى غلافه، وقرأ العنوان :

أسطورة حي بن يقظان

هزّ رأسه بدهشة، كمن تلقّى جوابًا لم يسأل عنه بصوتٍ عالٍ، لكنه كان حاضرًا في داخله منذ زمن.

ثم نظر إلى المفتاح.

لم يحتج إلى وقتٍ طويل ليستنتج.

كان على الأرجح مفتاح المنزل.

نهض، والتفّ حول الأشجار، حتى بلغ باب المنزل.

أدخل المفتاح في القفل، وأدارَه.

استجاب له القفل فورًا.

دخل، وأغلق الباب خلفه، وشعر للحظة وكأنه أغلق العالم الخارجي كله.

بحث بيده عن زر الإنارة، حتى عثر عليه، وضغطه.

أضيئت الصالة الواسعة.

كانت كما لو أن أحداً لم يغادرها...

نظيفة، مرتبة، ساكنة، كأن صاحبها خرج منها منذ دقائق لا شهور.

اتجه نحو أول غرفة في طريقه.

كانت غرفة المكتبة.

دخلها، وأغلق الباب خلفه، ثم جلس على مقعد جانبي قرب رفوف الكتب.

فتح الكتاب، وبدأ يقرأ.

لم يكن الكتاب ضخمًا.

لكنه كان عميقًا.

غاص بين صفحاته بسرعة، كمن يعثر أخيرًا على اللغة التي كان يبحث عنها.

كان ينقسم إلى جزأين واضحين:

الأول، يتناول أسطورة حي بن يقظان، الإنسان الذي وصل إلى الحقيقة بعقله وحده، دون معلم أو وحي مباشر.

و **الثاني**، يربط الأسطورة بالزيتونة، شجرة السماء ..

قرأ بشغف و اهتمام دون أن يشعر بالوقت.

وعندما أغلق الكتاب، بعد ما يقارب الساعة، كان الصمت في الغرفة أثقل.

كانت الخلاصة...

غريبة.

مذهلة.

ومحرِّرة.

أزاحت عن عقله آخر لمسات الضباب التي كانت تحجب عنه فهم حقيقة الوجود ، نظر إلى سقف الغرفة و سرح في عناوين تلك الرواية العجيبة و كأنه يحاول ترتيبها من جديد في عقله :

((**أسطورة حيّ بن يقظان ..** رواية تحكي قصة شخص يدعى

حي بن يقظان نشأ في جزيرة وحده، و تناقش طبيعة الإنسان وعلاقته بالكون والدين، كما تحتوي مضامين فلسفية .. شارك في تأليفها عدة أشخاص من الأدباء العرب والمسلمين ، فكان أول مؤلف لها هو الفيلسوف **ابن سينا**، وكتبها أثناء سجنه، ثم أعاد بناءها الشيخ **شهاب الدين السهروردي**، وبعدها أعاد كتابتها الفيلسوف الأندلسي **ابن طفيل**، ثم كانت آخر رواية للقصة من قبل **ابن النفيس** .. لكن أشهر مؤلف من بين هؤلاء الأربعة التصقت القصة باسمه هو ابن طفيل..

وقد كان لهذه الرواية أثر كبير على (جون لوك) الفيلسوف الإنجليزي الشهير، الذي كتب كتاباً يصف فيه العقل كصفحة بيضاء خالية من كل القواعد والمعوقات الموروثة و هو كتاب مستلهم من رواية حي بن يقظان تحت عنوان (**الفيلسوف الذي علم نفسه بنفسه**) ، وتأثر بالترجمة أجيال من الفلاسفة..

و رواية حي بن يقظان هي الأساس لعديد من روائع الفكر والأدب العالمي مثل كتاب (**عقيدة القس من جبل السافوا**) للفيلسوف الفرنسي **جان جاك روسو**، وكذلك نجد الأحداث المشتركة واضحة بينها وبين رواية **روبنسون كروزو** للكاتب **دانييل ديفو**، وقصة **ماوكلي** فتى الأدغال وشخصية **طرزان** التي تتحدث معظمها عن سلوك الإنسان عندما يجبر على العيش وحده في بيئة منعزلة .

إن ولادة حي بن يقظان تبقى لغزا ، فبعض المصادر تقول أنه ولد لأبوين بشريين ثم تركاه على جزيرة الواق واق ، و البعض الآخر تقول أنه تكون من تلقاء نفسه من التراب و هذه الرواية هي ما تعنينا في علاقتها مع الزيتونة .. و تكمل الروايتان بنفس الأحداث حيث سمعت ظبية كانت تبحث عن ابنها الذي فقدته صوت بكاء الطفل فاتجهت نحوه، وكان أن عثرت على حي الوليد فأرضعته وحضنته ..

يكبر حي بن يقظان وتمر حياته بسبع مراحل.. أما **الأولى** فهي **إرضاع الظبية لحي** وحضانتها ورعايتها له حتى عمر سبع سنوات.. و **الثانية وفاة الظبية** وتشريحها من قبل حي لمعرفة سبب الوفاة، وهنا بدأت تتكون عند حي المعرفة عن طريق الحواس والتجربة..

أما المرحلة **الثالثة** فكانت في **اكتشاف النار**.. أما **الرابعة** فكانت في **دراسته لجميع الأجسام** التي كانت موجودة حوله ، فكان بذلك يكتشف الوحدة والكثرة في الجسم والروح، واكتشف تشابه الكائنات في المادة واختلافها في الصور ..

قابل حي بن يقظان بعدها رجلاً جاء من جزيرة مجاورة يدعى **أبسال**، ليبدأ الاثنان في طرح نقاشات حول الطبيعة والأخلاق والله ، و يصدم أبسال عندما يعرف أن حي قد اكتشف كل الحقائق لوحده ، و يحاول حي بن يقظان نقل فهمه العقلاني للأشياء إلى أهل جزيرة أبسال، ولكن سعيه ينتهي بالإخفاق ، فيدرك بن يقظان أن معظم الناس تحركهم الأنانية والجشع والعواطف ولا يلقون بالاً لنداء العقل والضمير، ثم يرجع حي بن يقظان إلى جزيرته برفقة أبسال الذي أصبح تلميذا له..

المرحلة **الخامسة** كانت في **اكتشاف الفضاء** وهذا شجعه إلى الخروج من رصد الكون فحسب إلى معرفة أنه قديم للغاية و كذلك فهم آلية نشوئه .. وعند بلوغه الخامسة والثلاثين من عمره، بدأ حيّ مرحلته **السادسة** وهي **الاستنتاج بعد التفكير**، فتوصل إلى أن النفس منفصلة عن الجسد و غيرها من الخلاصات و أنه يعيش حالة توق إلى الموجِد واجب الوجود.. وأخيرا، يصر حي بن يقظان، في المرحلة **السابعة** على أن **سعادته** تكون في **ديمومة المشاهدة لهذا الموجِد الواجب الوجود** ورغبته في البقاء داخل حياة رسمها الموجد له ، و هي بالضبط الخلاصة التي توصلت إليها زيتونة السماء و صممت الكون الأصغر على أساسها كما يذكر الجزء الثاني ..

أما علاقة الأسطورة بشجرة السماء ، فيشرح الجزء الثاني ذلك عبر تقسيم حياة الزيتونة إلى **4** مراحل رئيسية :

مرحلة التطور ما قبل الوعي : و تقسم هذه المرحلة إلى شقين :

❁ **مرحلة الجماد** : و هي المرحلة المكافئة للانفجار العظيم في كوننا الأصغر و مشابهة له بالأحداث حيث تشكلت المادة عبر التسلسل المعروف :

(جزئيات دون ذرية ثم ذرات ثم جزئيات ثم مواد متنوعة شكلت النجوم و الكواكب و الأقمار و الكويكبات ..)

❁ **مرحلة نشوء الحياة** : عبر عملية تطورية ، و في الحقيقة نشوء أول شكل من أشكال الحياة (الخلية) التي تقوم بعملية تنفس في الكون الأكبر تم بسبب وجود بيئة كيميائية مناسبة حاضنة محيطة بها تفاعلت معها فحرضتها على القيام بعملية التنفس تلك ..

و هذا بالضبط هو جوهر عملية تكون **البيضة** و الجنين بداخلها ، فالبيضة عبارة عن مواد كيميائية مغذية و حافظة تحيط بالكائن الحي و تتفاعل معه كي ينمو و يتطور حتى يكتمل و يستقل بنفسه عن البيضة .. و هذا ما ينطبق أيضاً على مفهوم **الرحم** الأشمل الذي يحيط بالحياة ، بمعنى أنّ الجماد أو المادة أتت أولاً ثم كونت بيئة مناسبة لتطور الخلية الحية لاحقاً ، و هذه الخلية هي البيضة الملقحة بالنسبة للزيتونة التي تطورت و انقسمت عبر عملية

تطورية مزمنة للغاية و بدأت أنواع معينة من هذه الخلايا بالتمايز و التخصص كتفاعل مع البيئة من حولها .. **و يلعب الماء دور البطولة في هذه الثورة** بانتقال المادة من جزيئات غير حية إلى خلية حية تتنفس .. و هذه الأحداث كلها جرت في التراب المتشكل على أحد الكواكب ، لذا يقال أن آدم خلق من تراب تماماً كحال حي بن يقظان ، فما ذلك سوى تشبيه لطريقة تكون الزيتونة بنفسها و التي صممت البشر على شاكلتها .. هذه الخلية التي ظهرت أخذت بالانقسام لاحقاً و التطور تدريجياً إلى أن شكلت عبر عملية مزمنة للغاية شبه كائن لكن غير واعٍ .. تحركه الغريزة و يتطور بشكل مستمر ..

مرحلة ما بعد الوعي : بعد أول حادثة ثورية في حياة الزيتونة و هي تنفس المادة و ولادة الخلية ، تأتي الحادثة الثورية الثانية و هي ولادة الوعي لدى شكلها الأخير عبر تطور الدماغ إلى مستوى متقدم ، و مع ظهور الوعي ظهر بالتزامن معه :

- الزمن ..
- المشاعر بأنواعها ..
- الأنا ..
- منعكس اكتشاف الذات و المحيط ..

و هذه المرحلة لا يمكن وصف الألم و الإحباط و الإرادة الفولاذية فيها .. فهي عبارة عن انتقال من إخفاق إلى إخفاق بدون يأس .. و النور في نهاية النفق الذي كان يلهم الزيتونة على المتابعة هو متعة العلم و الاكتشاف و قوة الإيمان كما حدث مع صديقنا حي بن يقظان بالضبط ، فمع كل اكتشاف جديد كان يطرأ تحسن و تطور على حياة الزيتونة مما يمنحها أملاً جديداً .. و هذه التجارب كلها نجدها في تجارب البشر من حولنا اليوم كأمثلة مبسطة ، و الوصف و الكلام عن هذه المرحلة يبقى جائراً بحق للزيتونة ، لأن

ما من كلام يمكنه الإحاطة بما مرت به و عانته خلال هذه المرحلة .. **لذا فبطل هذه المرحلة هو الإرادة التي لا تقهر ..**

مرحلة ترويض الكون : مع تتالي الاكتشافات أصبحت الزيتونة ذات سيطرة أكبر على جسدها و على المحيط من حولها فتحولت من دور الدفاع إلى دور الهجوم .. و بدأت كقائدة فذة تبسط سيطرتها على رقعة الكون بالتدرج حتى توجت ملايين السنين من التطور المزمن باكتشاف كل غياهب الكون و ترويضه لخدمتها ، و هذه المرحلة سيفهمها فقط البشر الذين ستسنح لهم الفرصة في العيش في آخر سنوات الحياة على كوكب الأرض عندما يبلغ تطور البشرية مستويات مذهلة .. و يمكن تجسيد هذه المرحلة بأن الزيتونة عبارة عن فارسة و الكون هو حصانها الجامح البري الذي عانت كثيراً حتى روضته بالنهاية و أحالت الكون الباهت إلى جنان ملونة .. **و بطل هذه المرحلة هو العلم و المعرفة التي تخرج**

المخلوقات من الظلمات إلى النور ..

مرحلة البحث عن عائلة : في حياة البشر و بعد أن يبلغ الذكر أو الأنثى عمراً محدداً و يفرغون من اكتشاف أنفسهم و اكتشاف الحياة من حولهم يبدأ تفكيرهم بالاتجاه إلى تكوين عائلة تمنحهم **السعادة و الاستقرار و الأمان** و تجعل للحياة معنى .. و هذه الغريزة هي ذاتها التي دفعت بالزيتونة إلى التفكير بتكوين عائلة بعد أن فرغت من تكوين ذاتها ، و الأهم بالنسبة لها تصميم إنسان يختزل في تكوينه و شخصيته الكون الأكبر الذي احتضنها و ترعرعت فيه ليكون هذا الشخص بمثابة عائلة كاملة لها ، أب و أم وأخ و ابن بل و صديق مقرب قضت ملايين السنين تتخيله في فضاء الكون و تناجيه و تفشي له بأسرارها و هي على ثقة تامة أنه موجود في مكان ما من الكون الأكبر ، إنه ببساطة الإله الذي عبدته في حياتها و خالقها الذي تدين له بوجودها .. و لأن الزيتونة اكتشفت بعد ترويض الكون أن لا وجود لهذا الإله فإنها فهمت أن الكون الأكبر بنفسه هو ذاك الإله الأزلي بلا بداية و الأبدي بلا نهاية .. لذا أرادت تجسيده بشخص وضعت فيه صفات الكون كلها ليكون رمزاً لخالقها الذي تؤمن به .. و من هذا الشخص أرادت أيضاً أن تنجب عائلة كاملة من مليارات البشر ، لأن الجنة بلا ناس لا معنى لها من الأساس .. فبعد العيش في جنتها لملايين السنين الأخرى

استنفذت مصادر سعادتها بالتكرار و التعود بغياب الآخر في حياتها الذي يولّد التجديد و الاستمرارية بالمتعة و السعادة ، لذا حسمت أمرها في النهاية و صممت الكون الأصغر كمدرسة تعلم فيها أبناءها البشر أسرار الحياة و دروسها كي تليق بهم جنانها بعد الموت و يعيشوا جميعاً ببهجة و أمان إلى الأبد .. و **بطل هذه المرحلة هو غريزة الأمومة** ..

هذه باختصار شديد هي قصة حياة الزيتونة كما ذكرها الكتاب الذي عثر عليه في الصندوق، منذ بدأت كخلية حتى انتهت كحسناء تقود الكون الأكبر و أم عظيمة تنتظر أبناءها بفارغ الصبر و من بينهم شخص واحد تدين له بكل شيء و تعتبره الكون الأكبر الذي ترعرعت فيه و اكتشفت نفسها كما اكتشفت أسراره و خفاياه أيضاً ، البيضة التي فقست أو الشرنقة التي تفتحت و خرجت منهما إلى الحياة ، **الموجد الواجب الوجود** الذي وصل إليه حي بن يقظان بالنهاية ..

و في نهاية الجزء الثاني تحدث الكتاب عن جذور الزيتونة أي البيئة التي شكلتها بترميز مستوحى من حياتنا البشرية فكتب فيه :

لا يوجد إنسان في هذه الحياة لم يأتِ من **اتحاد أب مع أم** .. و هذه القاعدة لا تختلف مع شجرة السماء : (الزيتونة اللاشرقية و اللاغربية) فهي لم تأتِ من أب فقط كما قد يتوهم البعض ، لكن الفارق في هذه الحالة أن الأب و الأم هما شخص واحد يحمل الجناحين معا (**XY**) أو (الشمس و القمر) أو (صدفتي المحارة) أو (جديلتي **DNA**) أو (المهباج) .. و الزيتونة نسخت من إحدى الجديلتين أو تكونت في قلب المحارة ، أو صنعت في المهباج أو خلقت من **X** أي ضلع **XY** لتكون زوجاً له و يكون عائلةً لها ، لهذا السبب فكل ذكر في العالم يحمل جانباً أنثوياً في شخصيته ، و لا يمكن لأي إنسان أن يتبرأ من جيناته .. **و اتحاد الذكر و الأنثى الذي نجم عنه ولادة الزيتونة هو الفتح الأكبر في تاريخ الأكوان** .. و كيف لا يكون كذلك و كانت نتيجته هذه الألماسة الفريدة ؟ و من أدرى من أوليفر نفسه بذلك ؟!

و بذلك يكون الله هو الكون **25** الأكبر أو البيضة أو الشرنقة أو المحارة التي تشكلت في أحشائها الزيتونة كخلاصة أخيرة ..))

جلس أوليفر متسمّرًا في مكانه لدقائق .

لم تكن الحقيقة سهلة.

كانت صادمة بلا شك، لكنها... تشرح كل شيء بوضوحٍ لا يناقش.

و لا شك أن هذا الكتيب هو من تأليف السيد عزيز أو الأخوية التي ينتسب إليها صحبة صديقيه الراحلين الأسقف المسيحي **جيمزا** و البروفيسور اليهودي **ترومان** ..

لكن...

ماذا الآن ؟

لماذا ترك له السيد عزيز مفتاح منزله ؟

كان بإمكانه قراءة هذا الكتيّب في أي مكان آخر، في الفندق، في مقهى ، أو حتى في الطائرة.

إذًا... لا بد أن هناك شيئًا آخر.

سرًّا إضافيًا.

شيئًا مخبّأ هنا، في هذا المنزل، ينتظر أن يُكتشف.

شيئًا يفسّر المصير الحقيقي للسيد عزيز اليقين.

هل هو حيّ كحال حيّ بن يقظان ؟

أم قُتل فعلًا في حادث تحطم الطائرة ؟

نهض أوليفر ببطء، ونظر حوله.

كان يعرف، في قرارة نفسه، أن الإجابة لم تعد بعيدة.

العالم الآخر

مصر / الاسكندرية

تشرين الأول 2026 م ..

التفت أوليفر حوله ببطء، يدقّق في تفاصيل غرفة المكتبة، كمن يعيد قراءة ذاكرةٍ مألوفة بلغةٍ جديدة.

الرفوف، ترتيب الكتب، الفراغات الصامتة بين الأشياء... كل ذلك أعاده فورًا إلى مكان مشابه .. غرفة المكتبة في جامايكا.

الشبه لم يكن مصادفة، بل توقيعًا خفيًا للسيد عزيز ، أسلوبٌ كان يتركه دائمًا كأثر قدمٍ على الرمل.

هناك، في جامايكا، دلّته لوحة ومصباح إلى غرفة سرّية في القبو.

وهنا... كان إحساسه يقول إن الأمر لن يختلف.

بدأ يبحث بعينيه، متجاوزًا التفاصيل الظاهرة، متجهًا نحو ما لا يُرى للوهلة الأولى.

ثم توقف.

لوحة يتيمة كبيرة، معلّقة على الجدار المقابل.

اقترب منها، ومع كل خطوة كانت دهشته تتضاعف.

كانت لوحة شهيرة للفنان **بوتيتشيللي**: **فينوس في قلب المحارة**.

ابتسم بمرارة خفيفة.

فينوس، المولودة من البحر، في قلب محارتها...

كحال الزيتونة، شجرة السماء، في قلب الكون تمامًا.

إلى جوار اللوحة، كان هناك ما يشبه المصباح، شبه مختفٍ داخل محارة زجاجية شفافة.

اقترب، ومدّ يده، وأبعد صدفتي المحارة عن بعضهما.

في الداخل...

كان هناك مصباح، على شكل لؤلؤة.

وقف ينتظر.

ثانية... ثانيتين...

لم يحدث شيء.

تنفّس بعمق، ثم ابتسم فجأة.

تذكّر.

في جامايكا، لم يكن المصباح وحده كافيًا.

بحث بعينيه عن زر الإنارة في الغرفة، وما إن عثر عليه حتى ضغطه.

أضاء المصباح اللؤلؤي فجأة بنورٍ ناعم، دافئ، شبه حي.

وفي اللحظة التالية...

اهتزّت أرضية الغرفة.

الاهتزاز ذاته، الصوت ذاته، الإحساس ذاته الذي عرفه هناك، في دياميس روما.

ثم...

انفتحت بوابة في الأرضية الخشبية، كانت مخبّأة بعناية لا تشوبها شبهة.

لم يتردّد.

تقدّم، وبدأ ينزل الدرج الملتوي نحو الأسفل.

كان قلبه يخفق بسرعة، ليس خوفًا، بل انتظارًا.

هل ينتظره السيد عزيز هناك ؟

كما فعل في جامايكا ؟

وصل إلى القبو.

بحث بيده عن زر الإنارة، وضغطه.

أضيء المكان...

لكن خيبة أملٍ كبرى اجتاحت روحه المنتظرة .

لم تكن هناك قاعة واسعة، ولا ديكورات ، ولا حضور بشري.

كانت غرفة وحيدة صغيرة، عارية إلا من مقعد جلدي واحد في منتصفها.

اقترب.

وعلى المقعد، رأى ما يشبه نظارات واقع افتراضي، موضوعة بعناية، كأنها تنتظره وحده.

لم يتردّد.

جلس على المقعد المريح ، التقط النظارات، ارتداها، وشغّلها.

وفي لحظة واحدة...

تبدل الواقع.

وجد نفسه واقفًا على شاطئ جزيرة استوائية.

الرمال بيضاء، البحر هادئ، والسماء بلونٍ لم يره من قبل.

ثم رآه.

السيد عزيز اليقين.

كان يقف على مسافة غير بعيدة، يبتسم له ابتسامته المألوفة، تلك التي تجمع الحكمة بالطمأنينة.

لوّح له بيده...

ثم بدأ بالكلام :

((عزيزي أوليفر .. أعلم أنني خيبت أملك .. إذ كنت تتوقع رؤيتي شخصياً كما حدث في دياميس روما في جامايكا .. لكن الظروف تغيرت .. و الواقع الحقيقي تغير .. فلجأت إلى الواقع الافتراضي كي أقابلك .. أنت تسأل نفسك بالطبع الآن ، لماذا ؟

إنه السبب ذاته **منظمة العودة إلى الأصل** الظلامية .. لقد هددتني مجدداً و بشدة .. و قبيل سفري إلى هونغ كونغ أبلغني الإنتربول أن السفر غير آمن بحسب معلوماتهم الاستخباراتية من قلب المنظمة المتفككة و التي تحاول إعادة بناء نفسها مجدداً .. و بالفعل تبين أن إحدى الحقائب كانت تحتوي متفجرات و تم إيصالها إلى الطائرة عبر العلاقات الفاسدة المتشعبة للمنظمة .. أنا لم أسافر ، لكن للأسف الطائرة انفجرت و ذهب ضحية ظلام المنظمة عشرات الأبرياء مجدداً ..
حياتي الآن في خطر حقيقي ، و لن أسمح لنفسي أن يمسّك أنت و عائلتك أي أذى بسببي .. لذا قررت الرحيل بسلام و دون ضجيج ، لكن قبل الوداع ، عزمت على أن أنهي معك رسالتي التي بدأتها في ميلانو ، فأنت أردت الوصول إلى الحقيقة الشاملة .. و اليوم أنت – كما أتوقع – بت تملكها .. و أجبتك على كل الأسئلة التي بقيت عالقة من الأحاجي السابقة ..

لكن بقي هنالك موضوعان فقط لا بد من الحديث عنهما كي تكتمل مهمتي و أرضى لك ما تركته لك من أسرار كونية ..

الموضوع الأول ، هو فكرة العالم الآخر .. أنت الآن بتّ تعرف أن كوننا الأصغر يتمدد في حيز صغير من الكون الأكبر أو العالم الآخر ، لكن دعنا نتحدث بإيجاز عن ذلك العالم ..

توصف جنان الله في الكتب السماوية إذن بمصطلح (العالم

الآخر) ، أي أننا نتحدث عن عالم مشابه لعالمنا في كثير من الجوانب ، أما أهم ميزات الكون الأكبر الذي سنعيش فيه عن الكون الأصغر الذي نعيش فيه الآن فهي التالي :

غياب المشاعر السلبية التي نعاني منها في الكون الأصغر ، فهنالك لا وجود للألم أو الحزن أو الحقد أو الحسد أو التعب أو المسؤوليات أو غيرها ..

لا معنى للزمن ، فهنالك أوقات مستمرة من المتعة لا تتوقف بنوم أو تنتهي بموت ، بلا ماضٍ أو حاضر أو مستقبل أو ساعة أو توقيت .. فكل هذه مصطلحات دنيوية خاصة بالكون الأصغر فقط

متعة لا تنتهي تجعل المتع الدنيوية من أوقات سعيدة و طعام و شراب و جنس بل حتى مخدرات كما يدعي البعض و غيرها مجرد مقبلات بسيطة للغاية قبل الطبق الرئيسي ..

عدد هائل من الأكوان الموازية بحيث يكون كل إنسان عاش على هذه الأرض هو ملك كونه الخاص المصمم وفق ميوله و رغباته و شخصيته الأرضية .. و تتشابك هذه الأكوان على نحو مدهش يفجر العقل حرفياً ..

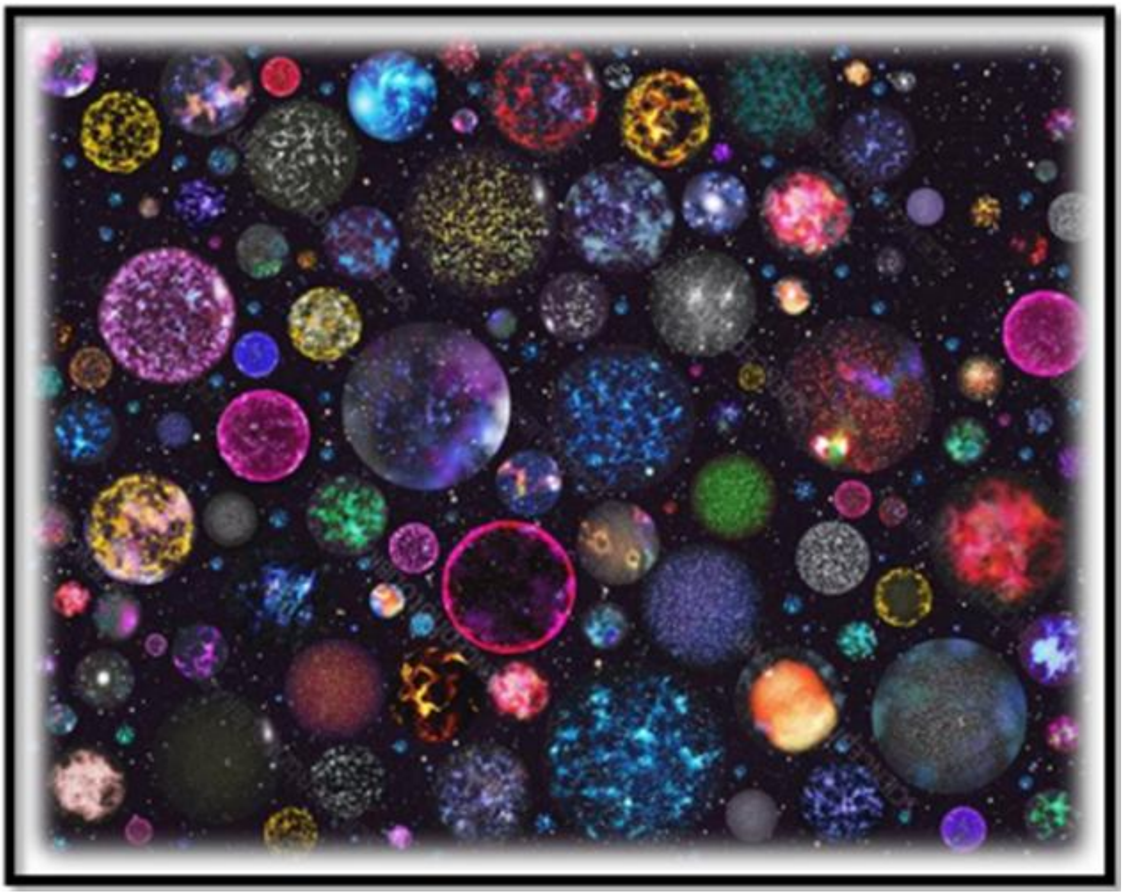

عدد غير منتهٍ من العوالم الافتراضية شديدة التطور ، بحيث يمكن لكل إنسان أن يعيش في أي جسد يريده في أي بيئة يختارها و يعيش أي قصة أو مغامرة يتخيلها كل ما عليه هو اختيار البيانات الصحيحة .. و كما ترى بنفسك الآن ما الذي يمكن للواقع الافتراضي أن يحققه و العلم لا يزال يحبو على دروب هذا المجال

إمكانية كل إنسان أن يرى حياته التي عاشها على الأرض بتفاصيلها كلها بتجسيم ثلاثي الأبعاد و كأنه يعيش مع نسخته السابقة تماماً منذ كان نطفة و بويضة يلتقيان حتى وفاته .. و تخيل معي عزيزي أوليفر كم هذا رائع و مذهل .. أن ترى نفسك جنيناً

ثم رضيعاً ثم طفلاً ثم شاباً و هكذا .. و تتذكر أحداث تلاشت من ذاكرتك ..

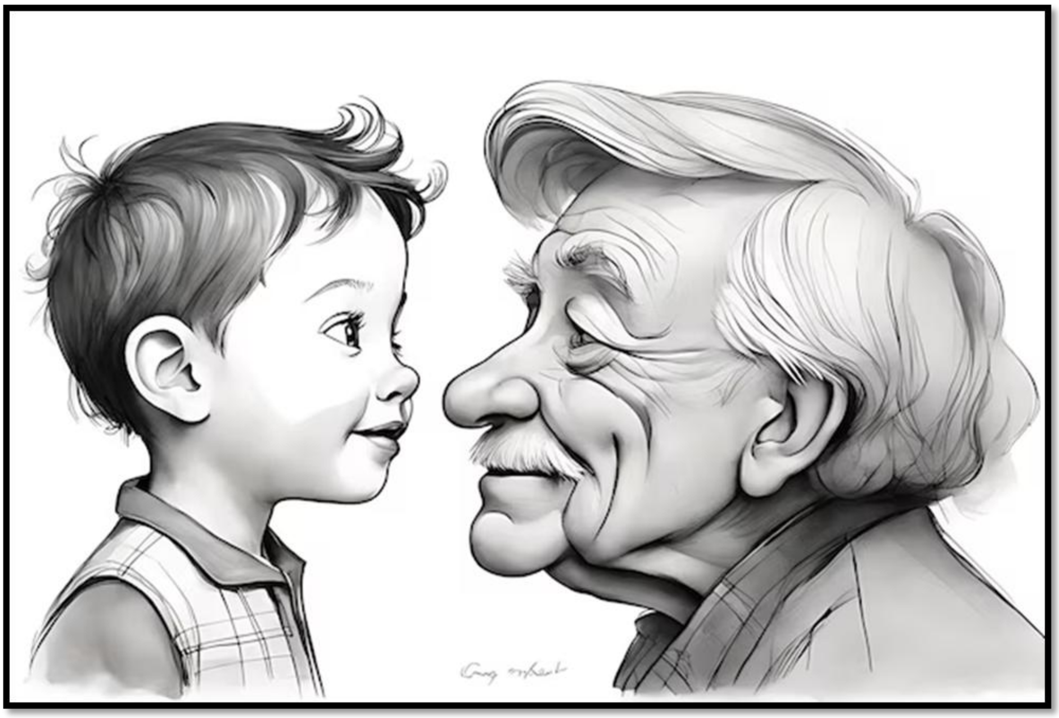

معرفة الإنسان لنوايا الآخرين تجاهه في الحياة ، من ضحى من أجله دون أن يعرف و من خانه و تآمر عليه من وراء ظهره

معرفة الإنسان لتأثير أفعاله الأرضية على الآخرين عبر الأزمنة الثلاثة و هذه الميزة مذهلة لدرجة تفوق الوصف ، حيث سيصدم كل إنسان بالتأثير المرعب لكيانه على الآخرين و على الكون الأصغر ، في حين كان يحسب نفسه قليل الأهمية و ربما بلا فائدة أو تأثير يذكر ، لكنه سيكتشف أن للسماء نظرة أخرى له فهي لم تخلقه جزافاً بلا أدنى شك !!

رؤية أحبائك في فترات عمرية لم تشهدها ، كوالديك عندما كانوا أطفالاً أو أحفادك عندما أصبحوا عجائز و هكذا ..

الفهم الكامل لقصة الحياة الدنيوية ، كيف بدأت و تطورت و انتهت ، السبب الكامن خلف خلق البشر فيها ، و الآليات المتنوعة لإدارتها ، و الدروس المختلفة البليغة و النبيلة لبناء الإنسان

الحقيقي فيها ..

و بالطبع التعرف على شجرة السماء الزيتونة ، على قصتها الملحمية الطويلة في بناء ذاتها و التي انتهت باكتشافها للكون الأكبر (الله) و لكل شيء ثم تصميمها للكون الأصغر و لنا فيه و منحها الحب الذي تستحقه منا ..

و القائمة تتسع و تطول من مزايا العالم الآخر .. لكن الأكيد سيد أوليفر أن **اسم الجنة لم يشتق من الجنون عن عبث** ، بل لأنها ستفقدك عقلك من هول جمالها و تطورها و متعتها ، لذا جلّ ما عليك فعله في هذه الحياة الدنيا هو أن تسعى لصلاح أفكارك و أقوالك و أفعالك و تترك لك أثراً طيباً فيها بحيث تليق بك جنان الله بعد موتك .

في الحياة الدنيا يا صديقي يعمل الإنسان بجهد طوال الشهر بلا كلل أو ملل بغية تحصيل مكافأته آخر الشهر(**الراتب**) كجائزة لتعبه ، فينفقه على متعته و متعة من يحب ..

فكيف إذن يتذمر الإنسان من بذل الجهد و الالتزام بوصايا السماء في حياته كي يستحق عند نهايتها جائزة عبارة عن :

شيك على بياض من النعم و السعادة و المتعة ؟!!

فكر بها قليلاً عزيزي أوليفر فستجد أن سبب ذلك هو **شك الإنسان بالحياة بعد الموت أو ربما عدم إيمانه بها من الأساس** .. فالإيمان الحقيقي يعني الوعي البديهي بأن هذه الدنيا الفانية مجرد **غمضة عين** قبل الخلود في الآخرة لذا تستحق منا الزهد و عدم التمسك بها و الالتفات إلى صلاح الأفكار و الأقوال و الأعمال على امتداد سنين عمرنا حتى يتوفانا الله و ننتقل إلى كونه الأكبر .. صدقني ما ينتظرك هناك لا يستوعبه عقلك و يستحق منك بذل الغالي و النفيس في حياتك كي تحظى به في النهاية ..

صمت السيد عزيز قليلاً ثم أردف بابتسامة حزينة :

أما **الموضوع الثاني** ، فهو كيف تعرفت أنا على الشيخ نبيل و شام ، السؤال الذي تتوق شام إلى الإجابة عليه بشدة ..

في الحقيقة والد شام البيولوجي كان صديقاً مقرباً مني و يدعى **عبد الحي لقمان** .. افترقنا بعد سنوات من الصداقة بسبب مشاغل الدنيا و الحياة .. حاول بعدها بسنوات أن أتواصل معه لأطمئن عليه ، فعلمت لصدمتي أنه و زوجته **حنان** توفيا في حادث سير ، تماماً كحال و الديك ، و أنّ ابنتهما الوحيدة شام تقيم في ميتم .. حاولت التواصل مع الميتم كي أتبناها ، لكنهم أخبروني أن شيخاً يدعى

نبيل كفلها بالفعل .. تتبعت سيرة الشيخ نبيل و أعجبت به و أيقنت أن شام بين أيدٍ أمينة ، بل ربما أفضل مني ، و الأنسب لها أن تبقى في وطنها فلسطين على أن تغادره .. و كنت أتبرع للميتم بمبالغ سخية باستمرار كي أضمن لها حياةً كريمة ..

هذا هو السرّ الأخير الذي بقي كي أبوح به فأبلغه لشام ..و أبلغها تحياتي الأخيرة و قبلاتي لنبيل الصغير و قمر ..

الوداع صديقي ..

أتمنى لك حياةً مليئة بالنجاح و السعادة ..

سأبقى أراقبك من بعيد ..

و لا ندري .. ربما نلتقي في ظروف أفضل في زمن أنقى ..))

هنا انتهى الواقع الافتراضي و تحول المشهد إلى سواد حالك كما فرضته المنظمة على أرض الواقع الحقيقي ..

نزع أوليفر النظارات عن رأسه ببطء.

عاد القبو من حوله، صغيرًا، صامتًا، واقعيًا أكثر مما ينبغي.

كان في داخله خليط معقّد من المشاعر.

راحة...

للاطمئنان أن السيد عزيز اليقين لا يزال حيًا.

و حزن...

لأنه أدرك، دون أن يُقال له صراحة، أنه لن يراه مجددًا.

تلك المنظمة الظلامية لم تكن فكرة، بل قدرًا يفرض الانفصال.

انزلقت دمعة وحيدة على خده،

وسط ابتسامة فهمٍ ناضج لحقيقة الحياة...

تلك التي تعطي بيد، وتأخذ بالأخرى، دون اعتذار.

حمل النظارات، غادر القبو، ثم خرج من المنزل ، فلم يعد للمكان معنى و قد فقدت جوهره ..

عاد إلى الفندق...

وهو يشعر أن شيئًا عظيمًا قد انتهى ..

وأن شيئًا أعظم قد بدأ.

القيامة

العودة إلى ألمانيا

تشرين الأول 2026 م ..

جلس أوليفر في مقعده بمحاذاة نافذة الطائرة، وقد أسند جبينه إلى الزجاج البارد، يراقب المساحات الزرقاء الواسعة للبحر الأبيض المتوسط وهي تتمدد تحته بلا نهاية.

كان البحر ساكنًا على غير عادته، كأنه صفحة ذاكرة مفتوحة، وكل تموّج خفيف فيه يستدعي ذكرى، وكل انعكاس للضوء يعيد وجهًا غاب ولم يغب.

تسللت الذكريات إليه دون استئذان، دافئة، مؤلمة، حقيقية أكثر من الحاضر نفسه.

تذكّر لقاءه الأول بالسيد عزيز ...

كنيسة سانتا ماريا ديليه غراتسيه في ميلانو، ذلك الصمت المقدّس الذي يلف المكان، ولوحة العشاء الأخير تتربع كسرٍ معلّق بين الأرض والسماء.

هناك، للمرة الأولى، وضعه القدر في طريق السيد عزيز أو العكس كي تبدأ رحلة الألف سرّ ..

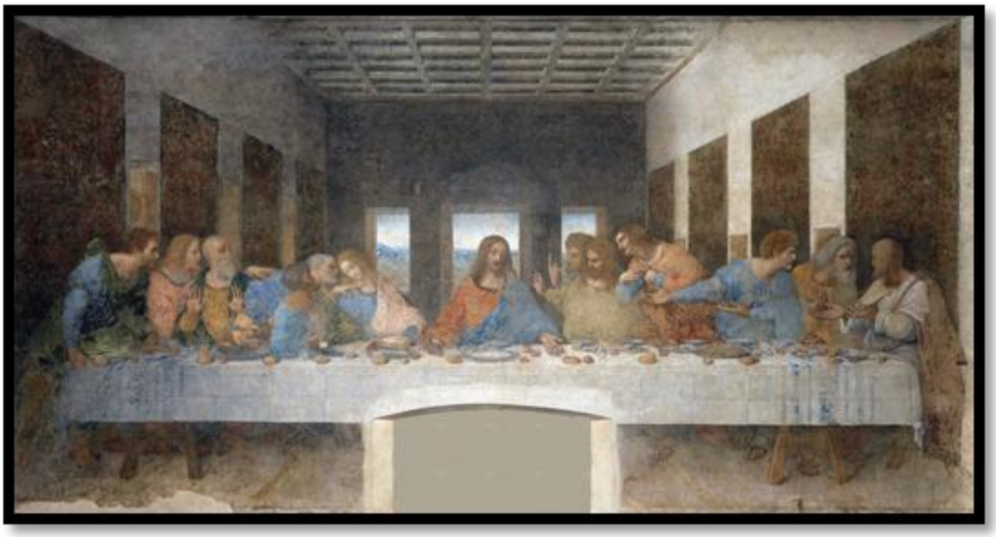

ثم تتابعت الرحلات...

مغامراته الشيقة خلف أسرار الزيتونة، من دولة إلى أخرى حول العالم ، من رمز إلى معنى، من سؤال إلى سؤال أعمق.

كان يشعر في كل مرة أنه يقترب، وفي الوقت ذاته يبتعد أكثر عن بساطة الحياة القديمة.

وتذكّر شام...

لقاءه بها في القدس، المدينة التي تشبه عقدة في قلب التاريخ.

كيف دخلت حياته بهدوء، وكيف أصبحت لاحقًا مرساته الوحيدة في بحرٍ من الأسرار والاحتمالات.

كيف كانت الأرض أكثر ثباتًا حين كانت تقف إلى جانبه.

ثم مصر...

سفره الأول إليها، يوم جاءه خبر موت السيد عزيز في حادث سير بالإسكندرية.

ذلك الألم المباغت، ذلك الفراغ الذي لا يُفسَّر، وذلك الشعور القاسي بأن الحياة تسلب دون إنذار.

بعدها أتت جامايكا...

دياميس روما.

اللقاء الذي أعاد ترتيب كل شيء، حيث أدرك أن الموت ليس دائمًا كما نراه، وأن الغياب أحيانًا ليس إلا ستارًا لحقيقة أكبر.

ثم البرازيل...

الأسر، الخوف، العزلة، وملامسة وجه الشر عاريًا مع المنظمة الظلامية ، قبل أن تمتد يد الانتربول وتعيده إلى العالم.

هناك فهم للمرة الأولى أن المعرفة لا تُمنح دون ثمن.

بعدها حط الرحال في هونغ كونغ...

منزل السيد عزيز ، حيث تداخل الشرق والغرب، العقل والحدس، العلم والرمز.

ثم تلك الاجتماعات الثلاثية مع شام، في غرفة السينما في منزلهما في ميونخ ، حيث كانت الحقائق تُعرض على الجدار كما لو أنها مشاهد من فيلم، لكنها في الواقع كانت تُنقش في الوعي نقشًا لا يُمحى.

و أخيرًا...

سفره الأخير مجدداً إلى مصر.

ارتقاء الهرم، حجرًا فوق حجر، نحو الحقيقة الكبرى.

نحو ذلك الوداع الصامت الذي لم تُنطق فيه كلمات كثيرة، لكنه قال كل شيء.

مغامرات...

لا تُوصَف إلا بأنها حياة مذهلة مكثفة في أربع سنوات.

تمخضت عن حقائق و أسرار لم يكن يحلم في يوم من الأيام أن

يعرفها :

الزيتونة، شجرة السماء المقدسة...

كيف نشأت، كيف وعَت الكون **25** الأكبر (**الله**)، ثم صممت الكون الأصغر، ذلك الذي يتمدد داخل حيز كروي صغير فيه، كانعكاس مصغر للكون الأكبر ..

فترة الحياة البشرية...

الأيام الإلـهية السبعة، واليوم الثامن، ذلك الأفق اللانهائي الذي لا يُقاس بزمن.

جذور الشر...

ليس كخطأ، بل كضرورة، كظلّ يمنح النور معناه.

حقيقة الروح...

ليست جسدًا خفيًا، بل وعيًا عابرًا للأشكال بين جسدين سماوي و أرضي ..

موعد يوم القيامة...

لا كتاريخ، بل كنقطة اكتمال.

GPS الحياة...

وإرشادات السيد عزيز الإحدى عشر، التي كانت تُرشد أكثر مما تُفسِّر.

إله الشمس وإلـهة القمر...

التوازن الأبدي بين الفعل والتلقي.

رقم تسعة...

الدورة المكتملة، النهاية التي تحمل بذرة البداية.

عين الإله الثالثة...

التي لا تنام، لأنها ليست عينًا، بل إدراك.

العقل الكوني الأعظم...

الذي لا يفكّر بنا، بل يفكّر من خلالنا.

هرم النقاط والاستبصار...

الصعود الداخلي الذي يسبق كل وصول.

يا إلهي...

كان يشعر بنفسه كالأعمى الذي أبصر بعد ظلام دهور.

كيف كانت رؤيته للحياة ضيقة، خانقة، مسطّحة، قبل السيد عزيز.

وكيف اتسعت فجأة، لتتكشف بكليتها أمام عينيه، وينقشع الضباب، لا جزئيًا، بل كليًا.

والأجمل من كل ذلك...

أنه عاد من مغامرته الأخيرة حاملًا لشام خبر قيامة السيد عزيز من الموت لتتلون البيضة الكونية بأبهى الألوان تعبيراً عن الفرح و

السعادة .. و يصيح الديك ثلاث مرات معلناً القيامة و أن السيد عزيز كأسطورة حي بن يقظان حيّ بنور الله الذي يفيض شلالاً في قلبه..

و أيضاً السر الذي كانت تتوق إليه دون أن تنطقه.

سرّها مع الشيخ نبيل.

كيف عرف السيد عزيز بشأنهما، وكيف كان يرى ما لا يُقال، ويعلم ما لا يُفصح عنه.

من السفر حول العالم خلف الأحاجي المحببة...

إلى الشرح على جهاز الإسقاط...

إلى اللقاء والوداع الأخيرين عبر نظارات الواقع الافتراضي...

عاش أوليفر أجمل أربع سنوات في حياته.

سنوات ستُحفر في ذاكرته إلى الأبد، في الكون الأصغر الذي يسكنه، والكون الأكبر الذي يسكن فيه.

والأهم...

أنه يدرك الآن، بصفاءٍ لم يعرفه من قبل، أنه أصبح الحامل الجديد لأسرار الكون، عن أخوية السيد عزيز و رفاقه.

وأن عليه، يومًا ما، خلال السنوات القادمة، أن يجد الشخص المناسب، المختار الجديد، ليضع هذه الشعلة بين يديه.

كي لا تنطفئ.

كي تستمر.

كي تبقى **فلسفة أوبنتو** حيّة...

ومتواصلة...

جيلًا بعد جيل.

على قمة الهرم ..

- ● الرحيل
- ○ رمضان و أيلول 99
- ● العين التي لا تنام
- ○ هرم النقاط
- ● العقل الكونيّ
- ○ جذور الزيتونة
- ● العالم الآخر
- ○ القيامة